نساء صغيرات

تأليف :لويزا ماى ألكوت

إعداد وتقديم : اسامة عبد الرحمن

مقدمة

قالت جو متذمرة وهي تضطجع على البساط لا يكون عيد الميلاد عيدا من دون هدايا تنهدت ميج وهي تنظر إلى ثوبها الرث القديم قائلة :إنه بغيض أن نكون فقيرات ,أضافت الصغيرة إيمي بشهقة مكلوم ليس من العدل أن يكون لبعض الفتيات الكثير من الأشياء الجميلة، فيما تفتقر الأخريات إلى كل شيء

قالت بيت قانعة: أدام الله أبانا وامها وأدام بعضنا لبعض

أشرقت وجوه الفتيات الأربع برهة لهذه الكلمات المشجعة، ولكنها عادت فاكتأبت عندما قالت جو بحزن: إننا نفتقد أبانا وقد نحرم رؤيته لوقت طويل

الم تقل: وقد لا نراه أبدا لكن هذه العبارة دارت في خلد كل واحدة منهن وهن صامتات ران الصمت عليه لدقيقة، غيرت بعدها ميج الحديث قائلة: «أنت تعرف السبب الذي جعل والدتي تقترح عيد الميلاد هذا بلا هدايا فنحن سنواجه شتاء قارسا، وينبغي ألا تبذر النقود على المسرات، فيما يواجه رجالنا المكاره في الجيش علينا أن نقدم تضحيات صغيرة عن طيب خاطركانت الصغيرات أخذن مصروفا يوميا ضئيلا لا يتعدى دولارا واحدا

وما كانت أمه لتطلب إليهن أن يتبرعن بهذا النزر اليسير فقد كن يكابدن في أعمالهن من أجل الحصول على هذه الثقود القليلة، مثل تعليم الأولاد المضجرين، أو خدمة سيدة عجوز لحوح لا يعجبها العجب، أو غسل الصحون وترتيب المنزل، أو الذهاب إلى المدرسة مع بنات يسخرن من ملابس الفقيرات

قالت ميج مواسية، وهي لا تزال تتذكر أياما سعيدة مرت بها: هل تتمنين أن تحصلن على النقود التي أضاعها والدنا عندما كنا صغيرات؟ سنكون سعيدات وفي أفضل حال يا حبيباتي، إذا خلت الحياة من المنغصات

جلست الأخوات الأربع يحكن شيئا على ضوء الشفق، فيما كان ثلج ديسمبر يتساقط بهدوء، والنار تتأجج داخل الغرفة القديمة والمريحة رغم بساطة أثاثها كانت هناك لوحة أو اثنتان معلقتان على الحائط، وكتب تملا فجوات الجدار، وأزهار عيد الميلاد تتفتح في النوافذ، فيما يخيم جو من السكينة

كانت أكبرهن، مارجريت، في السادسة عشرة من عمرها، جميلة ممتلئة، لها عينان واسعتان و شعر بني ناعم وغزير، ولها فم عذب ويدان بيضاوان تزهو بهما وكانت جو ابنة الخامسة عشرة، طويلة، نحيلة، بنية الشعر يذكّرنا شكلها بالمهر لطول أطرافها لها فم صارم وأنف مضحك وعينان رماديتان حادتان وكان شعرها الطويل الغزير أجمل ما فيها، تربطه عادة بشبكة وكان لها كتفان مستديرتان، ويدان وقدمان كبار كانت تنظر باستخفاف إلى ملابسها، وكان منظرها غير مريح كفتاة تتحول بسرعة، كارهة إلى سن النضج

أما إليزابيث، أو بيث كما يدعوها الجميع، فهي في الثالثة عشرة من عمرها، ذات شعر وردي ناعم وعينين مشرقتين وكانت تتحلى بطبع خجول وصوت حيي، وتعبير رقيق وكانوا يسمونها ماوس، أما والدها فكان يدعوها، الهادئة الصغيرة، وهي تسمية كانت تناسبها فعلا

أما صغري الشقيقات إيمي، فقد كانت تعتبر نفسها الأكثر أهمية من بينهن كانت ذات بشرة بيضاء كالثلج، وعينين زرقاوين، وشعر أصفر مجعد يلامس كتفيها وكانت تنظر إلى نفسها على أنها شابة تعي ما تفعل

دقت الساعة السادسة، وراحت كل واحدة منهن تقوم بعمل ما، فأمهن على وشك المجيء، وعليه أن يرحبن بها أيما ترحيب

قالت جو: ينبغي أن تحصل أمي على زوج جديد من الجوارب

وقالت بيث: علي أن أعطيها جزءا من مصروفي تأثرت إيمي قائلة: كلا أنا التي سأعطيها قالت ميج: أنا الكبرى فقاطعتها جو قائلة:أنا رجل العائلة الآن أبي مسافر، وقد أوصاني قبل رحيله أن أعتني بوالدتي

قالت بيث: لا ينبغي أن نختلف في هذه المناسبة السعيدة فكل واحدة منا ينبغي أن تمنحها شيئا في عيد الميلاد وراحت كل واحدة منهن تعلن عن هديتها: هذه قفاز، وأخرى حذاء، والثالثة منديل، والرابعة زجاجة عطر وافقن على أن يفاجئن أمهن بما سيقدمن لها

دخلت الأم وكانت سيدة طويلة القامة، نبيلة الملامح

قالت الأم بحبور: كم أنا سعيدة لمرحكن يا بناتي كيف حالكن اليوم؟ وبعد أن تفقدتهن واحدة واحدة، وقالت: هيا، لدينا الكثير لنفعله اليوم وما إن جلست على كرسيها لتستريح حتى راحت الفتيات يتنقلن ما بين الردهة والمطبخ لتحضير العشاء وعندما اجتمعن حول المائدة قالت الأم بسعادة :عندي لكن مفاجأة بعد العشاء وتعالت صيحات الفتيات يعبرن عن فرحهن :رسالة من والدنا قالت الأم :نعم رسالة طويلة رائعة إنه بخير، وسيمضي فصل الشتاء البارد على ما يرام وهو يهديكن أطيب تمنياته بعيد الميلاد سألت بيث: متى سيعود إلينا يا أماه؟ - لن يطول غيابه كثيرا يا حبيباتي سيبقى ليؤدي واجبه بأمانة ، ولن نطلب منه أن يحضر قبل الأوان قالت الأم: والآن إليكن الرسالة وتحلقت الفتيات حولها بلهفة كانت رسالة تحمل البهجة والأمل، وتتحدث بوصف حي عن حياته في المعسكر وبقلب مفعم بالحب يخاطب زوجته قائلا :

امنحيهن خالص حبي وقبلاتي قولي لهن: إني أفكر فيهن في النهار وأصلي من أجلهن في الليل، وأجد راحتي الخالصة بمحبتهن في كل الأوقات إن فترة سنة لهي طويلة جدا حتى أراهن وذكريهن أنه خلال الانتظار، يمكننا جميعا أن نعمل، وعندما أعود إليكن سأكون أكثر فخرا ببناتي الصغيرات

وفيما كن يبكين شوقا ولهفة إلى رؤيته سالما، وهن يسمعن الرسالة، تعاهدن جميعا على أن يكن عند حسن ظن أبيهن أما الأم، فقد راحت تحنو عليهن، وتذكره بقصص جميلة من ذكريات طفولتهن

كانت جو أول من استيقظ صبيحة عيد الميلاد وسرعان ما صحت أخواتها الأخريات ليفاجأن بهدايا أمهن: لكل واحدة منهن كتاب مختلف في موضوعه ولون غلافه ويهرعن إلى أسفل فلا يجدنها وتخبرهن ، ربيبة المنزل التي كانت بمثابة صديقة لهن أكثر مما هي خادمة، أن أمهن خرجت لاحضار بعض الأشياء وستعود حالا وبينما راحت كل واحدة منهن تتفقد هديتها عادت الأم فصحن بصوت واحد: عيد ميلاد سعيد يا ماما كل عام وأنت بخير نشكر لك هديتك سنقرأ فيها كل يوم فقالت الأم: عيد ميلاد سعيد يا صغيراتي أشكر لكن اهتمامكن بذلك ولكنني أريد أن أقول شيئا: في مكان غير بعيد عن هنا تقبع امرأة مع طفلها الرضيع عندها ستة أطفال يتزاحمون في سرير واحد كي لا يتجمدوا من البرد، فالبيت يفتقر إلى مدفأة، ولا يجدون طعاما يأكلونه فهل لكن يا بناتي أن تفعلن خيرا وترسلن إلى هذه الأسرة إفطارنا في عيد الميلاد هذا؟ فلاذت الفتيات بالصمت، فقد كن جميعهن جائعات أخيرا صاحت جو: إنني سعيدة للغاية لأنك حضرت قبل أن نبدأ وراحت كل واحدة منهن تعلن عما ستحمله إلى تلك الأسرة الفقيرة من الطعام قالت السيدة مارش وقد ارتسمت على وجهها علامات الرضا: كنت أعلم أنكن ستفعلن ذلك فلنذهب جميعا، وعندما نعود سيكون لدينا خبز وحليب للإفطار، نرجئهما إلى موعد الغداء وسار الجميع إلى تلك الأسرة الفقيرة التي كانت تسكن في غرفة بائسة ذات نوافذ مكسورة وفي وسط هذا المكان البارد أم مريضة في حضنها رضيع ومجموعة من الأطفال الجياع صاحت المرأة الفقيرة بدموع الفرح وهي ترى مارش وبناتها: آه، ملائكة الرحمة هبطت علينا سرعان ما ساد هذا المكان البائس سعادة غامرة،

حيث راحت كل واحدة من الفتيات تقوم بعمل يدخل الدفء والحنان إلى قلب هذه الأسرة الفقيرة ولم يشعرن في يوم من الأيام بمثل تلك السعادة، رغم أنه لم يذقن شيئا من الطعام الذي حملنه قالت ميج بعد أن عدن إلى المنزل: ما أجمل أن نؤثر جيراننا على أنفسنا وراحت الفتيات يجمعن هداياهن لمفاجأة أمهن ودخلت الأم، فتعالت صيحاتهن بأطيب التمنيات كانت الأم مأخوذة، بسعادة غامرة لما تقدمه لها بناتها من هدايا، وبما يقمن به من تحضيرات احتفالا بعيد الميلاد فقد استعضن عن الذهاب إلى المسرح بتحضير مسرحية لغة الحر وقمن بأدائها وتمثيلها بعدما توزعن الأدوار فيما بينهن وحان وقت العشاء كان العشاء مفاجئا لقد كانت المائدة عامرة بأصناف الحلوى والمعجنات والفواكه والورود قالت إحداهن بدهشة: هل هذا سحر؟ووضعت الأم حدا لدهشتهن وتساؤلاتهن :إنها هدية العجوز لورنس لقد أخبرت حتة أحد خدمه عن حفلة الإفطار هذا الصباح، وهذا ما سره كثيرا وقد أرسل لي ملاحظة اليوم يقول إنه يود أن يعبر عن مشاعره نحو بناتي ببعض الهدايا احتفالا بمناسبة الميلاد أبدت الفتيات إعجابهن بالهدايا وقالت جو: علينا أن نتعرف إلى هذا الرجل ذات يوم ولم تنس الفتيات والدهن في ذلك اليوم فقد همست بيث برقة: بودي لو أبعث بهذه الباقة الجميلة من الورد إلى والدنا أخشى ألا تتاح له فرصة للاحتفال بالعيد

صاحت ميج وهي تلوح ببطاقة الدعوة مبتهجة: دعوة من السيدة جاردنر لمساء الغد بمناسبة رأس السنة الجديدة ماما تريدنا أن نذهب، فماذا نلبس غدا؟قالت جو ما معنى هذا السؤال وأنت تعرفين أن ليس لدينا إلا ثوب البوبلين؟

تنهدت ميج وقالت: لو كان عندي ثوب من الحرير أجابتها جو فستانك ما زال بحالة جيدة، وهو يبدو كالحرير أما فستاني أنا فمهترئ وراحت الأختان تتجادلان بشيء من المرارة حول ملابسهما التي لا تبدو لائقة تماما ولكنهما عزمتا أخيرا على مداراة الأمر والذهاب إلى الحفلة الراقصة وفيما قامت الأختان الصغيرتان بدور الخادمتين كانت الأختان الكبريان تستعدان للحفلة وفي النهاية، بدتا مهندمتين على الرغم من بساطة ثوبيهما: ميج بثوبها الفضي وشبكة شعرها المخملية الزرقاء، وجو بثوبها الأحمر الداكن وياقته الصلبة تمنت لهما أمهما قضاء وقت طيب، وقالت لهما: لا تتأخرا عن الساعة الحادية عشرة عندما أرسل إليكما حتة

مشت الفتاتان على استحياء وتهيب، فهما نادرا ما تحضران حفلات أو مناسبات كهذه كان حضور هذه الحفلة حدثا مهما بالنسبة إليهما وعند الباب، حيتهما السيدة جاردنر برقة واقتادتهما إلى كبرى بناتها الست كانت ميج تعرف سالي، واستطاعت أن تندمج معها بسرعة، أما جو التي لم تكن تهتم كثيرا بالفتيات، فقد شعرت بشيء من الوحشة وهي تقف وظهرها إلى الحائط وتمنت لو تنضم إلى مجموعة من الفتية المرحين الذين كانوا يتحدثون عن التزلج في الجانب الآخر من الغرفة، وهو ما كان إحدى هواياتها وعندما أفصحت لأختها عن رغبتها في الانضمام إليهم، لم تلق منها إلا نظرة تحذير وانفض الجميع من حولها من دون أن يكلمها أحد واستمرت تحدق في من حولها إلى أن بدأ الرقص

وسرعان ما دعيت ميج إلى الرقص، فراحت ترقص غير عابئة بما يسببه لها حذاؤها الضيق من ألم أما جو فقد رأت فتى ذا شعر أحمر يقترب منها، فتوارت منه إلى ملاذ آمن، ولكنها التقت في ذاك المكان بصبي آخر وجها لوجه إنه ابن عائلة لورنس قالت جو متلعثمة :لم أكن أعرف أن أحدا هنا وحاولت الانسحاب ضحك الفتى وقال برقة :يمكنك البقاء إذا شئت وسرعان ما أخذا يتجاذبان أطراف الحديث ويتضاحكان وعرف الفتى نفسه باسم لوري لورنس لأنه لا يحب اسمه الحقيقي تيودور، فيما عرفت جوزفين نفسها باسم جو وراح لوري يحدثها عن نفسه، وعن السنوات التي أمضاها في الخارج وشجعته أسئلة جو على الاسترسال في الحديث عن ذكرياته في سويسرا واستطرد كلاهما في الحديث من غير تكلف، وقد شعرا وكأن أحدهما يعرف الآخر منذ زمن بعيد

أعجبت جو بالفتي وعزمت على أن تحدث أخواتها عنه إنهن محرومات من الإخوة الذكور راحت تتأمله بإمعان وهي تجاذبه أطراف الحديث وتسأله عن دراسته وعن مشاريعه المستقبلية لحظات قليلة وعزفت الموسيقى لحن رقصة البولكا وبدت جو مترددة ومرتبكة في البداية ولكن لوري استطاع إقناعها وراح يعلمها خطوات الرقصة الألمانية كانت جو في منتهى السعادة وهي ترقص مع لوري وقد أخذتها الأحلام بعيدا بعيدا ثم جلسا ليلتقطا أنفاسهما عندما توقفت الموسيقى واقتربت ميج فجأة ودلفت إلى غرفة جانبية، فلحقت بها جو جلست ميج على الأريكة شاحبة وهي تتلوي من الألم لقد التوي كاحلها بسبب حذائها الضيق الذي انكسر كعبه وكانت قلقة تفكر في طريقة تعود بها إلى البيت اقترحت عليها جو أن يأخذا عربة، ولكن ميج رفضت قائلة إن العربة تكلف كثيرا،

وهي تفضل أن تستريح حتى تأتي حتة حان وقت العشاء واتجه المدعوون إلى المائدة قالت جو لأختها إنها ستبقى معها ولكن ميج أصرت على أختها أن تتركها وتذهب إلى غرفة الطعام، لأنها تريد أن تستريح بعض الوقت وطلبت منها فنجانا من القهوة ولم تكد جو تحصل على القهوة حتى سكبت على فستانها فانزعجت لما حدث، ولكن صوتا رقيقا قال لها: هل أستطيع المساعدة؟ قالت جو مضطربة: كنت أحاول أن أحضر شيئا لميج، ولكن أحدهم دفعني فانظر ما حصل قال لوري: يا له من أمر مؤسف هل أستطيع أن أحمل هذا إلى أختك؟ قالت جو: شكرا لك دعنا نتجه إليها أمضى الجميع وقتا طيبا وعندما جاءت حتة، نهضت ميج مسرعة وقد فاتها ما حصل لقدمها، ولكنها اضطرت إلى أن تتكئ على كتف أختها مبدية بعض الألم همست ميج في أذن أختها توصيها بألا تفصح عن شيء، وقالت متصنعة: لا شيء، مجرد التواء بسيط في قدمي نزلت جو إلى الطابق السفلي تبحث عن عربة، وفيما هي تبحث عمن يستطيع مساعدتها، اقترب منها لوري وعرض عليها أن يوصلها بعربة جده التي كانت قد وصلت توا ارتاحت جو لهذا الاقتراح ولكنها ترددت في قبوله، وقالت للوري: أليس الوقت مبكرا لذهابك؟ أجابها لوري: أنا أذهب باكرا دوما دعيني أوصلك إلى البيت فها هي السماء تمطر قبلت جو بامتنان عرض لوري بسبب وضع أختها السيئ، واتجهوا جميعا بالعربة الفاخرة قالت جو: لقد أمضينا وقتا رائعا أليس كذلك؟ وراحت الفتاتان تتحدثان عن انطباعاتهما السارة عن الحفلة وعمن تعرفتا إليهم وما إن انتهى حديثهما الشيق، حتى كان الركب قد اقترب من البيت وما إن دلفن إلى البيت حتى قالت الأم بلهفة :أخبراني عن الحفلة وراحت الفتاتان تتحدثان عن سعادتهما وسرورهما على الرغم من ملابسهما البسيطة وحذاء ميج الضيق وما حصل لقدمها

أعباء وهموم قالت ميج متنهده: ما أصعب أن نحمل أشياءنا ونمضي في الصباح الذي يلي الحفلة أجابتها جو: أتمنى لو أن كل الأوقات عيد ميلاد أو أعياد رأس السنة وقالت ميج: من الجميل أن نذهب إلى الحفلات ونعود إلى المنزل بحافلة، ولا نعمل أنا أحب الرفاهية بدت كل واحدة منهن منحرفة المزاج قليلا ذلك الصباح وصرن يتشاغلن بأشياء شتى وساد جو من التوتر دعا السيدة مارش إلى أن تصيح بهن قائلة: اصمتن يا بنات علي أن أبعث بهذه الرسالة في بريد الصباح قالت جو تداعب أختها: هل أخذت بالجو الباذخ هذا؟ انتبهي إلى أنه لا يمكن أن تظلي في أحضان العدم أيتها الفقيرة العزيزة عليك أن تنتظري حتى آخذ فرصتي من الحياة، وعندئذ ستنالين كل أسباب الرفاهية ضحكت ميج وقالت: كم أنت مضحكة وافترقتا كل في سبيلها عندما فقد السيد مارش أملاكه كي يحاول مساعدة صديق ذي حظ عاثر، تمنت الفتاتان أن يسمح لهما بممارسة عمل ما كي تساعدا نفسيهما وقد سمح لهما أبوهما بذلك وانصرفتا إلى العمل بهمة ونشاط وجدت مارجريت فرصة للعمل كمعلمة حضانة، وشعرت بأنها مكتفية براتبها الضئيل كان الفقر بالنسبة إليها أصعب من أن تتحمله كالآخرين، فهي لا تزال تتذكر ما كانت فيه من حياة حافلة بالمسرات لقد حاولت أن تكون قانعة، ولكن من الطبيعي بالنسبة إلى فتاة شابة، أن تتطلع إلى الأشياء الجميلة والأصدقاء المرحين، والحياة السعيدة كانت ميج نادرة الشكوى، ولكن شعورا بالظلم كان يؤرقها أحيانا أما جو، فقد كان عليها أن تعتني بالعمة مارش العجوز الكسيحة التي تحتاج إلى من يرعاها عرضت العجوز العاقر أن تتبنى إحدى الفتيات،

وكانت شديدة الحزن لرفض طلبها وعندما التقت بجو استلطفتها ورق لها قلبها وعرضت عليها أن تكون مرافقة لها لم يرق هذا العمل كثيرا لجو في البداية، ولكنها قبلت به على مضض لعدم وجود بديل آخر وكان أكثر ما يغريها بالعمل، وجود مكتبة ملأى بالكتب الرائعة في بيت تلك السيدة العجوز، تنهل منها كلما أتيحت لها الفرصة كانت جو طموحة تتطلع إلى القيام بعمل رائع، ولكنها كانت تشعر بأنها لا تستطيع أن تنال كل ما تشتهي أما بيث، فكانت تخجل من الذهاب إلى المدرسة لقد حاولت وعانت الكثير ولم تعد تستطيع المتابعة وأخذ والدها على عاتقه أن يساعدها في دروسها في المنزل وعندما رحل تابعت بيث دروسها باجتهاد معتمدة على نفسها، كما كانت تساعد حنة في تنظيف المنزل كان لها متاعبها كالأخريات كانت تحب الموسيقى وتحاول جاهدة أن تتعلمها كانت تحاول الغناء والعزف، وملؤها الأمل في إتقان الموسيقى أما إيمي الصغيرة، فلم يكن يشغلها سوى أنفها المشوه، المسطح الذي تعرض لحادثة عندما أوقعتها أختها جو وهي صغيرة إنها فتاة موهوبة شغوفة بالأسم وكانت شقيقاتها يدعونها رافاييل الصغير كانت ميج محل ثقة إيمي، في حين كانت جو محل ثقة بيث رغم اختلاف الطباع

قالت ميج بشيء من الضجر، وهن جالسات في المساء معا يحكن الملابس :أما عند إحداكن ما ترويه لنا؟ لقد كان يوما مضجرا وأنا أتلهف على شيء من التسلية انبرت جو تحكي ماجرى لها في هذا اليوم مع مخدومتها عندما ضبطتها وهي تقرأ في كتاب راعي أبرشية ويكفيلد وكيف طلبت إليها أن تستمر في القراءة وتقرأ لها رغم أنها لم تكن تفهم الكثير مما تسمع وراحت ميج تقص حكاية أخرى جرت معها في عملها ذلك النهار وأدلت الصغيرة إيمي بدلوها

وراحت تحكي واقعة حدثت لها في المدرسة، وكيف تعرضت زميلة لها لعقوبة شديدة جراء ذنب صغير اقترفته وجاء دور الصغيرة بيث لتدلي بدلوها وروت لأخواتها واقعة شاهدتها ذلك الصباح قالت بيث : عندما ذهبت لأحضر بعض المحار لحتة، كان السيد لورنس في محل بيع السمك لم يكن يراني لأنني كنت خلف برميل، وكان مشغولا بالحديث مع السماك دخلت امرأة فقيرة بأسمال بالية وسألت السماك أن تنظف له محله مقابل القليل من السمك لأطفالها الجياع رفض السماك طلبها بلهجة جافة وهمت بالخروج وقد ارتسم على وجهها الحزن وعلامات الجوع نظر السيد لورنس إلى سمكة كبيرة وحملها وناولها إياها كانت سعادتها لا توصف إزاء هذه المفاجأة احتضنت السمكة بسعادة وخرجت مسرعة وهي تدعو للسيد لورنس بالخير والبركة ضحكت الفتيات بعد أن سمعن قصة بيث وطلبن من أمهن أن تقص عليهن شيئا

قصت عليهن الأم كيف كانت تفكر في أبيهن هذا الصباح وهي ترتق بعض الثياب، وكيف دخل عليها رجل عجوز ارتسمت على وجهه علامات الفقر والإعياء يطلب بعض الملابس وحكت لهن الأم ما رواه لها ذلك الرجل العجوز، وكيف أنه قدم أولاده الشباب الأربعة إلى الجيش للدفاع عن الوطن، فمات منهم اثنان وسجن ثالث، ولم يبق له إلا ولد واحد ومع هذا، فقد كان سعيدا لما قدمه لوطنه قالت الأم: لقد شعرت بالخجل من نفسي لقد أعطيت الوطن رجلا واحدا واعتقدت أن هذا كثير جدا، في حين أنه قدم للوطن أربعة من دون منة

سألت ميج شقيقتها جو وهي تراها تدب بحذائها المطاطي وقد وضعت قلنسوة على رأسها، وحملت مكنسة طويلة بيد ومجرفة باليد الأخرى: ماذا بربك تنوين أن تفعلي يا جو؟ وفيما انصرفت ميج إلى القراءة، راحت جو تحفر ممرات بهمة ونشاط وسرعان ما حفرت مما حول الحديقة بكاملها يفصل ما بين منزل مارش ومنزل السيد لورنس وفيما كان المنزل الأول يبدو شاحب المظهر، كان الآخر عبارة عن دار غناء تنطق بالعز والرفاهية ولكم نوت جو أن تقتحم هذا

العالم السحري وتتعرف إلى ابن لورنس فهي تتوق إلى رؤيته مجددا منذ أن التقت به في الحفلة، وقد خططت بكل الوسائل كي يكونا صديقين افتقدته بعدما ظل فترة لا يظهر ، واعتقدت أنه ربما رحل، ولكنها رأت وجهه ذات مرة يطل من النافذة كانت نظراته تنم عن حزن قالت جو في نفسها: ذاك الفتى يفتقر إلى المجتمع والمرح إن جده لا يعرف مصلحته ويعزله وحيدا إنه بحاجة إلى شاب مليء بالحيوية لكم أود أن أصعد إلى السيد المبجل وأخبره بذلك.

أسعدت هذه الفكرة التي كانت تحب القيام بأعمال جريئة ولم تكن الوسيلة تعوزها، واستطاعت أن تلتقي ولوري بالفعل بدا لوري شاحبا فسألته جو عن صحته أجابها بأنه أفضل الآن بعد وعكة برد أصابته وأقعدته أسبوعا في البيت وجرى بينهما حديث ودي، وتواعدا على اللقاء، بعد أن تستأذن جو والدتها وسرعان ما عادت جو ودلفت إلى القصر وقالت للوري بمرح: ها أنذا أفي بوعدي أمي تبعث إليك بتحيتها وتتمنى أن أفعل شيئا من أجلك، وميج أرسلت لك بعض الحلوى، في حين أصرت بيث على أن أحضر قططها الصغيرة لعلها تدخل المسرة على قلبك وراحت تعيد ترتيب الغرفة وتوضب أثاثها وهي تحادث لوري واستطاعت في لحظات، أن تضفي على المكان جوا مختلفا

كان لوري سعيدا بما تفعله جو وجلسا على مقعد وثير وراحا يتجاذبان أطراف الحديث كان لوري مريضا ووحيدا، وقد أحس بسعادة كبيرة لما غمرته به من حنان كان يفتقر إليه وطلبت إليه جو أن يأتي لزيارتهن وقالت له مشجعة: إن أمي إنسانة رائعة وسوف تغمرك بالحب والحنان سنمضي أوقاتا ممتعة معا ثم ما لبثت أن تساءلت :ألا يسمح لك جدك بالذهاب؟ - أعتقد أنه سيسمح لي إذا ما طلبت منه أمك ذلك إنه كريم جدا وهو يسمح لي أن أفعل ما أريد، لكنه يخشى أن أزعج الغرباء قالت جو: ولكننا لسنا غرباء، نحن جيران ونريد أن نتعرف إليك سنكون اهل وشكا إليها لوري جو الوحدة الذي يعيش فيه في قصر جده فحثته على الخروج من هذه العزلة وزيارة أماكن كثيرة وقالت له مشجعة: سيكون لك أصدقاء كثيرون لا بأس أن تكون خجولا الآن فهذا أمر لن يطول

وراحا يتحدثان في أمور شتى، حتى وصلا إلى الحديث عن الكتب حيث اكتشفا أن هواية المطالعة تجمع بينهما واقترح لوري أن يريها مكتبة جده كانت غرفة المكتبة مملوءة بالكتب وشتى أنواع الطنافس والتحف الغريبة قالت جو وهي تغوص في كرسي من المخمل متنهدة :يا للثراء أظن أنك أسعد فتى في العالم يا لوري ويقرع الجرس، وتنهض جو فجأة بشيء من الهيبة وتقول: إنه جدك يشعر لوري بتهيبها فيحاول أن يهون الأمر عليها ويدخل الجد من دون أن تنتبه إليه جو، التي راحت تعبر عن مشاعرها إزاء الجد بعد أن حدقت طويلا في صورة له على الحائط كان تعليقها جريئا وعندما تنبهت إلى وجوده فجأة، شعرت بالخجل وباضطراب شديد وودت لو تستطيع الهروب

ولكن نظرات الجد الحانية سرعان ما بددت الكثير من اضطرابها قال لها الجد بعد لحظات من الصمت :إذا فأنت لا تخافين مني، أليس كذلك؟ ليس كثيرا يا سيدي - وأنت لا تريني وسيما كجدك؟ ليس تماما يا سيدي ومع هذا فأنت تحبيني؟ نعم أحبك يا سيدي

أغجب الرجل الثقيل بالجواب فضحك ومد يده مصافحا وقال وهو يتفحص وجهها موما برأسه: لديك وجدك، وإن كان وجهك لا يشبهه كان رجلا رائعا و عزيزا علي كان شجاعا وأمينا وكنت فخورا بصداقته شعرت جو بالراحة عندئذ، وقالت: شكرا يا سيدي وراح الجد يحادثها برقة ويسألها عن حال أمها، وقال إنه سيزورها ذات يوم وقرع الجرس معلنا وقت شرب الشاي

فقال الجد: هيا لنحتفل بعلاقة حسن الجوار ومد ذراعه ليصطحبها إلى قاعة الشاي على طريقة البلاد التقليدية لم يفت الجد وهو يحتسي الشاي أن يراقب الفتى والفتاة وما طرأ على حفيده من تغيرات لقد صار وجهه ينبض بالحياة والنور، وطبعه يتدفق بالحيوية، وضحكته تشع بالمرح وبعد تناول الشاي، اصطحب لوري صديقته جو إلى المستنبت الزجاجي الذي بدا لها شيئا أشبه بالحر وفيما كانا يسيران وسط الأشجار والنباتات التي تخلب الألباب، كان لوري يقطف بعض الورود والأزهار حتى تجمعت في باقة قدمها إليها قائلا: أرجو أن تعطي هذه لأمك ودخلا إلى قاعة الاستقبال حيث كان السيد لورنس يجلس عند المدفأة ولفت نظر جو بيانو ضخم كان ينتصب في الغرفة، وسألت ملتفتة إلى لوري: هل تعزف؟وألحت عليه أن يعزف لها مقطوعة ما وعزف الفتى عزفا بدا لجو رائقا جاء الجد إليهما وشكر لجو تشجيعها لحفيده على العزف،

وعبر عن امتنانه لها آملا أن تزورهما ثانية وطلب إليها أن تنقل تحياته إلى أمها ودع الفتي فتاته متمنيا لها ليلة طيبة واعدا إياها بزيارة أسرتها عندما يتعافى تماما من مرضه عندما حدثت جو أهلها عن مغامرتها بعد ظهر ذلك اليوم، شعر الجميع برغبة في زيارة جماعية للقصر، حيث كان لكل فرد أسبابه لمثل هذه الزيارة لاحظت جو قبل خروجها من دارة آل لورنس أن الجد لم يكن سعيدا جدا لعزف حفيده وهذا ما دفعها إلى أن تسأل أمها عن سر ذلك فقالت لها الأم: ربما يعود ذلك إلى أن والد لوري قد أحب شابة إيطالية موسيقية ولم يكن الجد سعيدا بذلك كانت جيدة وودودة، ولكن السيد لورنس لم يكن يحبها، وقد تزوج ابنه بها ورحل معها، ولم يعد السيد لورنس يرى ابنه بعد ذلك ومات الأبوان عندما كان لوري صغيرا، فعاش في كنف جده ولعل الجد يخشى أن يفقد حفيده، وهذا ما جعله حذرا إن حب لوري للموسيقى أمر طبيعي، وربما يخشى الجد أن يصبح حفيده موسيقيا فيذكره بالمرأة التي كرهها قالت جو بدهشة: يا للسخف لماذا لا يصبح موسيقيا إذا كان يريد ذلك؟

كان البيت الكبير قصرا جميلا حقا وكان الجد لورنس يلاطف جميع الفتيات، ويسترجع مع أمهن ذكريات الأيام الخوالي وحدها بيث، كانت تشعر بشيء من الخجل والرهبة منه كانت تفكر بأنهن فقيرات ولوري غني، وكانت هي وأخواتها يخجلن من قبول معروف لا يستطعن سداده ولكن سرعان ما تبددت هذه المخاوف عندما قال الجد إنه يشعر أنهن يحسن إليه ويملأن حياته، في حين أنه لا يقدم ما يكفي للتعبير عن امتنانه لهن ما أجمل الأوقات التي كن يمضينها في القصر،

وما أكثر المباهج والمسرات كانت كل واحدة منهن تجد ما تتمناه،حتى إن ميج أطلقت على القصر اسم قصر النعيم وكن يتصرفن أثناء وجودهن فيه وكأنهن في بيتهن اعتقدت بيث أن الجد لورنس لا يرغب في أن يعزف أحد على البيانو، لكن الجد عرف كيف يلاطفها ويداري مشاعره ويدعوها إلى العزف وألح على دعوتهن إلى الحضور إلى القصر في أي وقت يرغبن وعندها أحست بيث بالاطمئنان والامتنان، وأعربت عن رغبة الجميع في الحضور، وعن رغبتها الشديدة في العزف ووجدت نفسها تعصر يده بشدة معبرة عن خالص مشاعر الود تجاهه قال الجد بحنو بعد أن لمس شعرها :

كانت لي فتاة لها مثل عينيك ليباركك الله يا حلوتي غنت بيث بسعادة غامرة في تلك الليلة، وأشاعت جوا من المرح في البيت كله وفي اليوم التالي، سارعت إلى القصر، بعد أن غادره الجد والفتي، لاشباع هوايتها وتعطشها للموسيقى التي كانت تعشقها كانت تطير فوق أجنحة العادة عندما جاءت حتة ظهرا لتأخذها إلى البيت لتناول طعام الغداء قالت بيث لأمها بعد بضعة أسابيع من تلك الزيارة الأولى المشهودة للقصر : «أمي، أريد أن أصنع للسيد لورنس زوجا من الأخفاف إنه رجل لطيف جدا، وأنا أريد أن أعبر له عن شكري قالت الأم :نعم يا حبيبتي، سيسره هذا كثيرا، وهي طريقة لطيفة للتعبير عن امتنانك له وراحت بيث تعمل بدأب لإنجاز هذا العمل، تساعدها في ذلك ميج وجو، وبعدما أتمت صنع الخفين، بعثت بهما مع رسالة قصيرة إلى الجد لورنس وضعتها بمساعدة لوري، على مكتب الجد ذات صباح قبل أن يصحو من نومه

ظلت بيث طوال يومين تترقب بلهفة رد فعل السيد العجوز على الرسالة وأخيرا وصلتها رسالة من الجد لورنس صاحت شقيقاتها بفرح غامر وهن يقلن لها: انظري انظري نظرت بيث مذهولة فوجدت بيانو صغيرا وفوقه رسالة كتب عليها **:**الآنسة إليزابيث مارش قالت بيث مضطربة وقد أذهلتها المفاجأة: اقرئي الرسالة أنت يا جو وأخفت وجهها في ثوب أختها لشدة سعادتها وخجلها فتحت جو الرسالة وقرأت :الآنسة مارش العزيزة كان لدي الكثير من الأخفاف في حياتي، ولكنني لم أنتعل أبدا زوجا يناسب قدمي كهذا، يا زهرتي المفضلةهديتك سوف تذكرني دوما بالإنسانة النبيلة التي قدمتها لي أحب أن أسدد لك ما علي، ولذا أعلم أنك ستسمحين للنبيل العجوز أن يبعث إليك بشيء، كان في يوم من الأيام، ملك حفيدته الصغيرة التي فقدها مع تمنياتي القلبية وخالص شكري صديقك الممتن وخادمك المطيع جيمس لورنس قالت جو، وهي تحاول أن تهدئ أختها بيث، التي بدا عليها الاضطراب **:**هذا شرف تفخرين به لقد كان الجد مولا بحفيدته واحتفظ بكل حوائجها فكّري كم هي ثمينة هديثه حين قدم لك البيانو الذي كان لها قالت إيمي معقبة على الرسالة بتاثر كبير : فكري فقط في خاتمة رسالته: خادمك المطيع جيمس لورنس

قالت حتة: هيا جربيه يا حلوتي أسمعينا صوت البيانو وما كادت جو تقترح على بيث أن تذهب لتشكر للسيد لورنس هديته، حتى انتصبت بيث شاقة طريقها إلى قصره واتجهت فورا إلى غرفة المكتب كانت تريد أن تقول أشياء كثيرة، ولكن نظرات الجد الحانية أنستها كل شيء، ولم تجد نفسها إلا وذراعاها تعانقانه وهي تقبله وأحس الجد وهو يجلسها على ركبته كأنه استعاد حفيدته

قالت إيمي ذات يوم وهي تتابع لوري ممتطيا جواده ويضربه بسوطه: لو أن لدي قليلا من المال الذي ينفقه على ذلك الحصان واعترفت إيمي لشقيقتها بأنها في حاجة ماسة إلى المال لتفي ببعض التزاماتها فتحت ميج حقيبتها وأعطتها بعض المال كي تشتري ما تريد وتسدد ما عليها وفي اليوم التالي، تأخرت إيمي في الذهاب إلى المدرسة قليلا، حيث لم تستطع أن تقاوم إغراء عرض ما اشترته من ثمار الليمون وسرعان ما سرى الخبر في المدرسة بين زميلاتهااللواتي تقاطرن إليها وثار الحسد في نفوس بعضهن لاسيما جيني سنو التي كانت تعير إيمي من قبل وأدى بها الحسد إلى أن تشكوها إلى المدرس السيد ديفيز واشية إليه أن إيمي قد جمعت ثمار الليمون في درج مقعدها قال المدرس بغضب: إن ثمار الليمون مادة محظورة وأعلن أنه سيعاقب من يخرق النظام ثم طلب إلى إيمي أن تحضر كل ما في مقعدها من ثمار وتلقي بها من النافذة احمر وجه إيمي خجلا وحارت في ما تفعل التفت الأستاذ إلى الفتيات وراح يتحدث بصرامة عن احترام النظام ولم تشفع لإيمي نظرات التضرع، فقد أصر الأستاذ على معاقبتها أحست إيمي بمهانة جارحة لم تشعر بمثلها في حياتها، جراء تعرضها لعقوبة جسدية وأدبية أمام زميلاتها وبعد أن انتهت عقوبة إيمي، رمقت أستاذها السيد ديفيز بنظرة لوم حادة وهي تخرج صامته من الصف وانتزعت أشياءها، وخرجت عازمة على ألا تعود وعندما وصلت إلى البيت، كانت في غاية الحزن والأسى انزعجت شقيقاتها لما حدث، ولم تملك السيدة مارش إلا أن تواسيها ببضع كلماتلم يلاحظ خروج إيمي من المدرسة إلا بعض زميلاتها،

ولكن السيد ديفيز كان عصبيا على نحو غير عادي بعد ظهر ذلك اليوم وقبل أن تغلق المدرسة أبوابها، وصلت جو حامله رسالة من أمها إلى المدرسة وراحت تجمع حاجات أختها قالت السيدة مارش في ذلك المساء: أنا لا أقر العقوبة الجسدية خاصة للبنات وأذنت لابنتها أن تأخذ إجازة من المدرسة، على أن تدرس كل يوم مع شقيقتها بيث ومع هذا، فقد وبخت ابنتها لأنها خرقت الأنظمة وإن كانت لا تقر أسلوب العقوبة الذي تعرضت له

تأهبت الأختان الكبريان ميج وجو لمغادرة المنزل والذهاب إلى المسرح، بعد تلقيهما دعوة من لوري لمشاهدة مسرحية القلاع السبع ولما علمت إيمي بذلك طلبت إليهما أن يصطحباها معهما فرفضت الأختان اصطحابها لأنها لم تكن مدعوة، ولأن ذهابها معهما قد يحرج لوري توسلت إليهما إيمي بحرارة، ولكن جو رفضت بإصرار، في حين قالت لها ميج: بوسعك أن تذهبي مع بيث وحنة الأسبوع المقبل بكت إيمي ولكن دموعها ذهبت سدى وعندما شعرت بعبث توسلاتها قالت لجو مغتاظة: ستندمين على ذلك يا جو مارش كانت المسرحية رائعة بزخارفها وأجوائها وممثليها، ولكن ذلك لم يمنع جو من أن تشعر بغصة وهي تفكر: ماذا تستطيع إيمي أن تفعل كي تجعلها تندم؟عندما عادت الأختان من المسرح إلى البيت، كانت إيمي تقرأ في كتاب، وكانت ملامح وجهها تدل على أنها لا تزال مكسورة الخاطر بعد ظهر اليوم التالي، تفقدت جو مكتبتها فلاحظت أنها تنقص كتابا سألت شقيقاتها الثلاث اللواتي كن مجتمعات معا عن الكتاب،

فنفت ميج وبيث معرفتهما به، في حين سكتت إيمي وجهت جو السوال مباشرة إلى إيمي، فأنكرت أنها أخذته وسرعان ما نشبت مشادة بين الأختين وأمام إصرار جو، التي كانت حريصة على الكتاب وعلى إكمال تأليفه قبل عودة والدها، اعترفت إيمي بأنها أحرقته تشفيا من موقف جو بالأمس صاحت جو وهي تبكي غاضبة وحزينة معا، وقد أخذت تهز كتفي إيمي بيديها: أنت فتاة شريرة شريرة لن أغفر لك هذا أبدا واندفعت ميج لتنقذ إيمي من بين يدي جو، فيما أخذت بيث تهدئ من ثورة جو وعندما عادت السيدة مارش إلى البيت وعلمت بالقصة استدعت إيمي ووبختها على فعلتها، وعرفتها بقيمة الكتاب بالنسبة إلى جو التي استغرقتها كتابته بضع سنوات كان عملها واعدا وجيدا، والآن ضاع كل شيء، لأن جو لم تكن تحتفظ إلا بنسخة واحدة بدت إيمي شديدة الحزن والأسف وقت تناول الشاي وحاولت أن تعتذر إلى أختها جو بحرارة، ولكن الأخيرة رفضت اعتذارها بشدة، وقد بدت علامات الغضب على وجهها قالت الأم برفق وهي تقبل ابنتها جو قبلة المساء: لا تدعي النهار يفوت يا غاليتي وأنت غاضبة فلتسامح إحداكما الأخرى ولتبدأ كل واحدة منكما يوما جديدا وفي اليوم الثالي، ظلت جو مكفهرة الوجه غير قادرة على نسيان ما حصل وعزمت على الذهاب إلى التزلج مع لوري لعل ذلك يواسيها حاولت إيمي أن تعلق على قرار أختها، ولكن ميج نهرتها وقالت لها أن تذهب خلفهما وأن تنتظر حتى تستعيد جو مزاجها الطيب مع لوري وتقبلها لحقت إيمي بهما واستعد كلاهما للتزلج قبل وصول إيمي إليهما قال لوري إنه سيذهب إلى المنعطف الأول ليستطلع المنحدر قبل أن يبدأ التزلج صاح لوري محذرا إيمي وهو يراها تتعثر في تزلجها: لا تقتربي من حافة النهر

فالمكان غير آمن في المنطقة الوسطى لم تسمع إيمي تحذيره، وسرعان ما سقطت في كومة من الثلج وأطلقت صرخة جعلت قلب جو، التي تنبهت لسقطتها، يكاد يتوقف من الرعب حاولت أن تستنجد بلوري ولكن صوتها ذهب هباء وتمالكت قواها رغم شعورها بالعجز والألم صاح لوري فجأة: أحضري قضيبا بسرعة هيا بسرعة

وتعاون الاثنان على نقل إيمي إلى المنزل، وهما يبكيان وقد تملكهما الرعب، ووضعاها قرب المدفأة وغطياها بأغطية سميكة قالت جو وقد اغرورقت عيناها بدموع الأسى والندم: أماه، إذا ماتت إيمي، لا سمح الله، فستكون غلطتي وألقت جو باللوم على طبعها السيئ وقالت باكية: بربك يا أماه ماذا أفعل؟ أخذت الأم تواسي جو الحزينة بكلمات طيبة تعيد لها الطمأنينة والثقة بالنفس تنهدت إيمي وهي نائمة فقالت جو نادمة بصوت مسموع: ويحي لقد سمحت لنفسي أن يمر علي النهار وأنا غاضبة كم كنت شريرة حين لم أغفر لها وانحنت فوق أختها وبرقة راحت تمسح بيدها شعرها الأطب فتحت إيمي عينيها وفتحت ذراعيها بابتسامة اخترقت قلب جو وسرعان ما تعانقتا بقوة، وانتهى كل شيء بقبلة أخوية حارة.

غادرت ميج لتقضي أسبوعين للترفيه والمتعة عند أسرة موفات وكانت هذه العائلة تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية في البداية، شعرت ميج بالرهبة إزاء روعة المنزل وأناقة قاطنيه ولكن عائلة موفات كانت لطيفة وسرعان ما شعر ضيفها بالراحة وفي هذا الجو من الراحة والطمأنينة،

أخذت ميج تقلد طباع من حولها وطريقتهم في الحديث أمضت الصبايا الثلاث وقتا ممتعا في التسوق والثرثره، والذهاب إلى المسرح والأوبرا، أو تمضية الوقت في البيت مساء يتمازحن ويمرحن مع بعضهن وعندما حان وقت الحفلة الصغيرة، شعرت ميج أن ملابسها المتواضعة لا تليق بالمناسبة أحست بمعنى نظرات الفتيات سالي وآني وبيل إليها وشعرت بالإحراج ولكن الفتيات كن دمثات وكن يساعدنها في زينتها حتى لا يشعرنها بالخجل والإحراج

شعرت ميج بالأسى لفقرها ولكن أساها سرعان ما تبدد عندما وصلتها باقة من الأزهار هدية من لوري وشعرت بسعادة أكبر وهي توزع الورود والأزهار على رفيقاتها استمتعت بليلتها تلك خاصة بعد أن رقصت ما فيه الكفاية وفيما كانت تنتظر شريكها في الرقص، الذي ذهب ليحضر لها قطعة من الثلج، سمعت في الجانب الآخر من الجدار المغطى بالأزهار، كلاما فيه الكثير من السخرية والطعن بها وبأسرتها أثار هذا الكلام غضبها وحنقها، ولكنها استعانت بكبريائها لإخفاء مشاعرها الدفينة وفيما هي على هذه الحال من الكرب والخجل، اقتربت منها الآنسة بيل وقالت لها إنها أرسلت دعوة إلى صديقها السيد لورنس لحضور حفلة يوم الخميس ولكن ميج أفهمتها أن مستر لوري ليس صديقها وهنا تدخلت سالي محاولة تغيير مجرى الحديث، وسألتها عما ستلبس في الحفلة وشعرت ميج مرة أخرى بالإحراج، ولكن بيل ألحت عليها أن تقبل ارتداء ما يناسبها من ثيابها وفي ليلة الخميس، كرست بيل نفسها مع خادمتها لجعل ميج تبدو فتاة رائعة في أحسن حلة، وأبهى زينة

وعندما أوصلتها بيل إلى قمة ما تريد قالت لها: تعالي وأظهري نفسك وراحت ميج تخطو بثوبها الجميل وزينتها البهية مستمتعة بالنظرات الحاسدة من حولها قالت لها سالي :أنت جميلة جدا وتبدين كآنسة فرنسية،ولكن حاذري أن تتعثري نزلت مارجريت الشمع بتؤدة وانضمت إلى حيث تجمع عدد من الضيوف وأفراد عائلة موفات أصابت الدهشة كثيرات ممن لم يعرنها انتباها من قبل وكذلك بات كثير من السادة الذين لم يعيروها اهتماما يطلبون التعرف بها وفيما كانت ميج تلوح بمروحتها وتضحك، إذا بها وجها لوجه أمام لوري كان يحدق فيها بدهشة ظاهرة وبعدم رضا انحني لها وابتسم ولكن شيئا ما في عينيه جعلها تحمر خجلا وتتمنى لو أنها كانت ترتدي ثوبها القديم فقالت له **:**أنا سعيدة بقدومك كنت أخشى ألا تأتي جو أرادتني أن أحضر وأخبرها كيف كان مظهرك وماذا ستقول لها؟ تساءلت ميج بشيء من الضيق - سأقول لها إني لم أعرفك لأنك تبدين أكبر من سنك ولم تعودي أنت يا للسخف الفتيات ألبسني كي أمرح ألا تحبني كذلك؟ أجابها لوري بطريقة فظة: لا انزعجت ميغ من طريقة تعبيره التي خلت من أية علامة من علامات أدبه المعتاد فقالت مغتاظة وهي تغادر مكانها :أنت أوقح فتى رأيته ومشت إلى النافذة كي تستشعر شيئا من البرودة وسرعان ما اقترب منها لوري شاعرا بالندم وقال لها **:**أرجو أن تغفري لي وقاحتي وأن تقبلي بالرقص معي، تعالي ومد إليها يده ابتسمت ميج ومشيا معا بعيدا ورجته ألا يخبر أحدا من أهلها عن ثوبها في تلك الليلة وقالت إنها ستخبرهم بنفسها وفيما هما يتجاذبان أطراف الحديث بثقة ومودة، اقترب منهما تيد مرفات ليطلب يد ميج للرقص، فتركها لوري ولم يتدخل إلا عندما أسرفت ميج في تناول المشروبات الروحية

شعرت ميج بالمرض طوال اليوم التالي وعادت يوم السبت إلى بيتها وهي تشعر بالراحة والسكينة وراحت تقص على شقيقتيها مغامراتها مبتهجة ثم ذهبت إلى حضن أمها لتعترف بكل الأشياء الشنيعة التي اقترفتها لدى اسرة موفات وراحت تروي لها كل ما حدث بالتفصيل قالت الأم تلوم نفسها: لم يكن من الحكمة أن أسمح لك بالذهاب إلى أناس لا أعرف عنهم إلا القليل، أناس يفتقدون التهذيب، ولديهم الكثير من الأفكار المبتذلة وأطرقت ميج تفكر في ما فعلت وفي ما سمعت ثم سألت أمها: أحقا لديك خطط كما قالت السيدة موفات؟ قالت الأم: نعم يا عزيزتي

حل الربيع وحلت معه مباهج جديدة ومع تفتح الأزهار ، كان لا بد من العناية بالحديقة الصغيرة وراحت الشقيقات الأربع يولين اهتمامهن للعناية بها كانت كل واحدة منهن تعتنى بما تحب من الورود والأزهار وهكذا، شغلن أوقات فراغهن بهذه الهواية الممتعة بالإضافة إلى هواية التجذيف في النهر أما في الأيام الماطرة، فكان لديهن تسليات أخرى، إذ لما كن معجبات بالروائي الإنجليزي تشارلز ديكنز وبروايته المرحة «السيد بيكويك» فقد شكلن جمعية أطلق عليها اسم نادي بيكويك وانتحلت كل واحدة منهن شخصية من شخصيات هذه الرواية، وحن يمثلن أدوارها وكان اندماجهن في تمثيل هذه الأدوار، وما يطرأ عليها من مفارقات، يجلب لهن الكثير من المرح والمتعة والسعادة شكّل سفر عائلة كينج إلى الشاطئ للاصطياف فترة ثلاثة أشهر فرحة بالغة لميج، لأنه سيمنحها الراحة في هذه العطلة الطويلة أما جو، فكانت متعبة وتريد أن تقضي يومها في السرير كي تنال قسطها من الراحة، بالإضافة إلى ممارسة متعة القراءة

وفيما رغبت الصغيرتان إيمي وبيث بالانصراف إلى دروسهما نصحتهما الأم بالقيام بما يترتب عليهما من اختبار استيقظت ميج في الصباح، وجلست في الركن الذي تجلس فيه والدتها، وراحت تحلم بملابس الصيف التي ستشتريها من راتبها أما جو، فقد أمضت صباحها مع لوري عند ثوبها الجديد فيما انصرفت بعد الظهر إلى القراءة وعكفت بيث على موسيقاها، بينما اشتغلت إيمي بالرسم وهي تتخيل كيف ستصبح رسامة مشهورة ذات يوم وشعرت الفتيات بأن الوقت يمضي بطيئا ومم ولكن لم تشأ أية واحدة منهن أن تعترف بوطأة الاختبار الذي كان عليهن القيام به وعندما صرفت الأم حتة في إجازة، شعرت الفتيات بهم أكبر وتذكرن قول حتة: إن تدبير المنزل ليس نزهة وعندما قررت الأم أن تختلي بغرفتها وتترك لهن تدبير شؤون المنزل، بما في ذلك تحضير طعام الإفطار والغداء، اكتشفن مدى قصر باعهن وضآلة خبرتهن في هذا المجال، ومقدار العبء الكبير الذي تقوم به الخادمة حتة كان على جو أن تحضر طعام الغداء لضيوفها، وأن تتسوق كل شيء وتعد كل شيء وفي المطبخ، اكتشفت أن الإرادة وحدها لا تكفي لقد ارتكبت جو عدة أخطاء في طريقة تحضير الطعام وفي تقدير المعايير المناسبة وجاء الغداء الذي حضرته مهزلة وشعرت بالخجل وهي ترى ضيوفها، خاصة لوري، ينصرفون عن صنف بعد آخر وضحك لوري بصوت عال كي يبدد جو الوجوم والصمت الذي ران على الجميع، وحتى لا يتحول الغداء إلى مأساة، وقد كاد، خاصة حين احتقن وجه جو وكادت تبكي وهي تستطلع وجوه من حولها بعدما تذوقوا ما صنعت يداها ولكنها بدلا من أن تبكي، انقلبت إلى الضحك، حيث نظرت إلى الجانب الكوميدي من المشهد، وتبعها الآخرون أيضا بمن فيهم السيدة كروكر التي كانت تبدي الكثير من علامات الامتعاض وهي تجرب صنوف الطعام وهكذا انتهى الغداء التعيس نهاية مرحة

تنفس كل من جو وميج الصعداء بعد عناء يوم طويل، إثر ذهاب الضيوف وجلست الفتاتان ومعهن إيمي وقد أخذ منهن التعب كل مأخذ وانضمت إليهن أمهن وقالت: هل أنتن راضيات يا بناتي عن الاختبار، أم أنكن تفضلن أسبوعا آخر؟ ردت الفتيات بصوت واحد تقريبا: لا لا نريد ذلك قالت الأم: من الأفضل إذا أن تقمن بالقليل من الواجبات، وأن تقدمن شيئا للآخرين أليس كذلك؟ «وتابعت الأم تدعوهن إلى تعلم الطهو لأنه أمر لا يمكن للمرأة أن تستغني عنه قالت ميج وقد أدركت حيلة أمها: أمي، هل تركتنا وابتعدت كي تري كيف نتصرف من دونك؟قالت الأم: نعم، أردت أن تعرفن أن راحة الجميع تعتمد على ما تقوم به كل واحدة منكن بإخلاص أليس من الأفضل أن تساعد كل واحدة الأخرى بحيث يكون المنزل مريحا ومبهجا للجميع؟ صاحت البنات: سنفعل ذلك يا أمي، سنفعل وأدركت السيدة مارش عندئذ أن اختبارها لبناتها قد نجح .

وعادت بيث من مكتب البريد ذات يوم من أيام شهر أغسطس، وهي تحمل رسائل وهدايا إلى ميج وجو وكان نصيب جو من الرسائل رسالتين، إحداهما رسالة رقيقة من أمها تعبر فيها عن ارتياحها لحسن تصرف جو التي باتت تحسن التحكم فى طبعها وتدعو لها بالنجاح والتوفيق والأخرى من لوري وكانت رسالة لوري تقول إنه سيخيم في منطقة تدعى لونج ميدو مع عدد من الأصدقاء حيث سينتقلون إليها بالقوارب، ويتغدون ويلعبون الكروكيت وهو يدعوهن بإلحاح إلى الانضمام حيث البهجة والصحبة الجميلة وطارت جو فرحا

وهرعت تخبر ميج وأمها وتطلب إذنها للانضمام إلى لوري وصحبه من فتيان وفتيات وصبية وما إن اخترقت أشعة الشمس غرف نوم الفتيات في صباح اليوم التالي واعدة بيوم مشرق، حتى كانت جو أولى الصاحيات من النوم لتوقظ أخواتها وسرعان ما ارتدين الملابس الصيفية الخفيفة وارتسمت على وجوههن السعادة والبهجة هرع لوري للقائهن وتعريفهن بأصدقائه شرفت ميج بلقاء الآنسة كيت بثيابها البسيطة وأحست بالزهو لكلمات تيد الذي أكد لها أنه جاء خصيصا كي يراها واختارت بيث الفتى الأعرج كي تصادقه، في حين استلطفت إيمي الفتى جريس وسرعان ما تصاحبا وكانت الخيام والأطعمة معدة مسبقا، وسرعان ما ابتدأت الحفلة وانطلق القاربان لوري وجو في قارب، والسيد بروك وتيد يجدفان في القارب الآخر حيث جلست ميج وجها لوجه مع السيد بروك الصامت الوسيم ذي الصوت العذب الذي أحبت خصاله، وإلى جانب تيد الذي يحاول أن يشيع جوًا من البهجة أما سالي جاردنر فكانت تجاذب فرد أطراف الحديث، وقد شغلتها فكرة المحافظة على ثوبها الأبيض نظيفا لم تكن المسافة إلى لونج ميدو بعيدة وكانت الخيمة قد ضربت لتوها وسط حقل أخضر انتصبت في وسطه ثلاث من أشجار السنديان الوارفة وإلى جانبها شريط من العشب يصلح للعبة الكروكيت قال المضيف وهم يترجلون من القوارب: أهلا بكم في مخيم لورنس وراح يوزع الرتب والأمكنة على الجميع مقترحا القيام بلعبة الكروكيت قبل الشروع فى الغداء وراحوا يلعبون بحماس ونشاط ويتبارون ويتنافسون ويتقاذفون الكرة واشتدت المنافسة بين الأميركيين والبريطانيين حتى كادت تتحول إلى مشادة لولا تمالك جو أعصابها

وهذا ما راق لأختها ميج التي هنأتها على حسن تصرفها صاح السيد بروك وهو ينظر إلى ساعته:حان وقت الغداء وراح يوزع المهمات على الأفراد ونهضت جو لصنع القهوة، في حين راح كل من الآخرين يقوم بعمل ما ومدت مائدة رائعة حافلة بأصناف الطعام الطازجة والشهية قالت جو مازحة تخاطب لوري: كيف تجرؤ على تذكيري بالغداء التعيس الذي دعوتك إليه، في حين أن غداءك حافل بكل ما هو ممتع؟ وضحكا معا سأل لوري: ماذا نفعل بعد الغداء؟ كانت الآنسة كيت تعرف ألعابا جديدة كثيرة، لذا تحول الجميع إلى ركن الاستقبال كي يلعبوا لعبة الكلام الفارغ وراحت كيت تشرح قواعد اللعبة: يبدأ أحدكم بسرد قصة يقول أي كلام مهما كان، ويقص ما يشاء، ولكن عليه أن يتوقف عند نقطة مثيرة، وعندها يأتي دور غيره ويتابع على المنوال نفسه وهكذا وأضافت بلهجة آمرة: ابدأ أنت يا سيد بروك أطاع بروك وشرع يحكي قصة .

ضحك الجميع من هذه القصة بعد أن أتوا أدوارهم واقترحت سالي لعبة جديدة اسمها الحقيقة وشرحت هذه اللعبة بأنه ينبغي على اللاعب فيها أن يجيب بصراحة عن أية أسئلة يطرحها عليه الآخرون إنها ممتعة جداوقالت جو : دعونا نجربها ووقع الخيار على لوري وتقاطرت الأسئلة الطريفة والمحرجة على لوري الذي أجاب عنها بواقعية، وضحك الجميع وجاء بعده دور فرد، الذي بادرته جو بسؤال فيه تشف ألم تغش في لعبة الكروكيت؟ واعترف فرد بذلك، فأثلج هذا الجواب صدر جو التي كانت مستاءة من تصرفاته أثناء اللعب ثم قالت: لعبة الحقيقة لعبة سخيفة دعونا نلعب لعبة المؤلفين التي تشحذ أذهاننا

وفي حين انخرط معظمهم في اللعبة الجديدة، انزوت ميج مع السيد بروك في حديث رقيق عن الغناء والأدب وراحت تقرأ في كتاب لشيلر أعطاها إياه وبعدما أثني السيد بروك على قراءتها امتد بينهما حديث شيق ووجداني أثار عاطفته وأمضى الجميع ذلك النهار بسعادة وسرور وعند الغروب، انفض كل شيء وعادت المجموعة كلها بالقوارب تجدف وتغني بمرح وسعادة

حل الخريف، ومع نهارات الخريف القصيرة، كانت جو تعمل بدأب كي تنجز الأوراق التي بين يديها وعندما أنجزت هذا العمل، ذيلته بحاشية تقول: قدمت هنا أفضل ما أستطيع حملت جو أوراقها وخرجت إلى الطريق، وركبت حافلة عامة اتجهت نحو المدينة، وعندما نزلت اتجهت بخطى مسرعة إلى عنوان محدد في شارع مزدحم ترددت كثيرا في الدخول ولم يطل بها المقام في ذلك المكان، إذ سرعان ما نزلت وهذا ما أثار دهشة رجل كان يراقبها ويتساءل بفضول عن سر مجيئها بمفردها وتشاء الصدف أن تلتقي لوري الذي بدا مندهشا لرؤيتها فسألها عما يزعجها ومشى إلى جانبها صامتا لبرهة ثم قال لها إنه يود أن يتمشى معها قليلا ويخبرها بأمر هام أبدت جو رغبتها في سماع ما يود أن يقول عندئذ قال لها: حسنا، إنه سر، وإذا كنت سأطلعك عليه فلا بد من أن تطلعيني على أسرارك وعندما نفت جو أن يكون لديها أسرار قال لها لوري: أنت لا تستطيعين أن تخفي شيئا

هيا أفصحي وإلا لن أخبرك بشيء واعترفت جو بأنها سلمت قصتين إلى صحافي يعمل في جريدة ليبدي رأيه فيهما صاح لوري استحسانا وألقي بقبعته عاليا وهو يقول: الله ستكون الآنسة مارش مؤلفة أميركية مشهورة وبعد أن سمعت جو كلمات الثناء والتشجيع من لوري قالت: والآن ما هو سرك أنت؟ قال لها لوري :أعرف أين يوجد قفاز ميج الضائع ومال نحوها وأسر همسا بكلمات قليلة بدت جو مستاءة مما سمعت، خلافا لما اعتقد لوري كانت أبعاد ما سمعته جو من لوري قلقها، وسرعان ما انعكس ذلك على سلوكها المستغرب في المنزل كانت تندفع نحو الباب عندما يقرع ساعي البريد جرس المنزل، وتعامل السيد بروك بجفاء عندما تقابله، وتنظر إلى ميج بوجه مثقل بالهموم، وتقفز إليها من وقت إلى آخر لتهزّها ثم تقبلها بطريقة غريبة دلفت جو إلى الغرفة فجأة بعد أن وقفت في الحديقة مع لوري، يتضاحكان ويمرحان جلست من فورها على الأريكة وراحت تقرأ بشغف سألتها ميج التي كانت تحوك الثياب: هل هناك ما يثير اهتمامك؟ قالت جو وهي تخفي عنوان الجريدة: لا شيء إنها مجرد قصة عنوانها: الرسامون المتنافسون طلبت ميج من جو أن تقرأ هذه القصة وراحت جو تقرأ بسرعة وشقيقاتها الثلاث يتابعنها باهتمام فالقصة كانت رومانسية ومحزنة بعض الشيء إذ يموت معظم أبطالها في النهاية وبعد أن أنهت جو القراءة راحت شقيقاتها يعلقن عليها وفجأة سألت بيث التي التقطت لمحات وجه جو: من كتب هذه القصة؟وهنا نهضت جو وهي تظهر الرزانة والوقار: إنها أختكن صاحت ميج وهي تلقي ما في يدها: أنت وتعالت صيحات الإعجاب من الجميع

وغمرهن فرح كبير لم تشأ ميج أن تصدق إلا بعد أن شاهدت اسم أختها جوزفين مارش مطبوعا في الجريدة وقالت حتة التي جاءت تستطلع النبأ: كم ستفخر بك السيدة مارش عندما تعلم وكشفت جو النقاب عن قصتها الثانية، وكيف أعجب بهما المسؤول في الجريدة وأعلنت عن رغبتها في الكتابة من جديد، وأن قصتها ستكون مأجورة هذه المرة وأعربت عن سعادتها بذلك لأنها مع الوقت ستساعد نفسها وتساعد أخواتها

أعربت مارجريت عن استيائها من شهر نوفمبر، وهي تنظر من النافذة إلى الحديقة التي قرصها الصقيع ذات يوم قاتم بعد الظهر وقالت بيث الجالسة عند النافذة الأخرى: حدثان مبهجان على وشك الوقوع فمارمي قادمة في الطريق، ولوري يطوف في الحديقة وكأنه يريد أن يزف إليها شيئا ودخل كلاهما المنزل وسألت السيدة مارش سؤالها المعتاد: هل وصلت أية رسالة من والدكن يا بنات؟

ورن الجرس فجأه بحدة، ودخلت حئة تعلن وصول برقية عند سماع ذلك فضت السيدة مارش البرقية، وقرأت الشطرين الواردين فيها وارتمت بعدها في شبه غيبوبة قرأت جو البرقية بصوت مرتعش: السيدة مارش زوجك مريض جدا احضري حالا

مستشفى بلانك، واشنطن

استفاقت السيدة مارش ومدت ذراعيها إلى بناتها قائلة بنبرة لن ينسينها أبدا: سأذهب في الحال، ولكنني ربما أصل متأخر كثيرا بناتي الحبيبات ساعدني على تحمل الموقف وساد النحيب جو المكان تخللته كلمات مواساة متقطعة وهمسات تخنقها العبرات لم تشأ الأم أن تضيع الوقت في البكاء، وسارعت إلى وضع غطاء رأسها، فيما سارعت الخادمة حتة إلى تحضير أمتعتها وطلبت الأم من لوري أن يرسل برقية في الحال يخبرهم فيها أنها قادمة في قطار الصباح الباكر كما طلبت من جو أن تخبر السيدة كينج أنها لا تستطيع الحضور غدا وطلبت من بيث أن تطلب من السيد لورنس زجاجتين من الشراب تقدمهما هدية لزوجها وسألت إيمي أن تنزل لتطلب من حتة تحضير صندوق الثياب الأسود، فيما طلبت من ميج أن تساعدها في تحضير أمتعتها وانطلق كل واحد في اتجاه وسرعان ما ظهر السيد لورنس مع بيث حاملا معه كل ما يمكن أن يريح المريض ، ووعودا بحماية الفتيات ورعايتهن طوال فترة غيابها وعرض الرجل مرافقتها، ولكن السيدة مارش ما كانت لتقبل أن يتكبد النبيل العجوز مشقة السفر وفجأة ظهر السيد بروك أمام ميج عند المدخل، وأبدى أسفه الشديد لها وعرض أن يرافق والدتها إلى واشنطن شعرت ميج بامتنان عظيم، وأبدت ارتياحها لمرافقته أمها في الطريق عاد لوري من بيت العمة مارش يحمل المبلغ المطلوب مع رسالة قصيرة تقول فيها إنها كانت تنتقد دوما التحاق أخيها بالجيش وتتوسم شرا من وراء ذلك

ولكن السيدة مارش لم تكترث للرسالة وألقت بها في النار، وتابعت استعداداتها وفيما كان الجميع منهمكين في أعمالهم كانت جولاتزال غائبة عن المنزل ما أثار قلق الجميع وخرج لوري ليبحث عنها فإذا بها تعود وقد ارتسمت على وجهها تعبيرات جعلت الجميع في حيرة وقدمت جو لوالدتها رزمة من النقود قائلة هذه مساهمة مني لوالدي كي يكون مرتاحا ويعود إلينا سألت الأم ابنتها بقلق عن مصدر النقود، فطمأنتها جو وقالت إنها لم تحصل على النقود إلا من شيء يخصها إنه شعرها الطويل، الذي أصبح قصيرا بعد القص وحاولت جو وسط الدهشة التي رانت على الجميع أن تظهر اللامبالاة ولكن حقيقة مشاعرها لم تخف على أحد وعندما ألحت عليها إيمي بالسؤال عن سبب فعلتها قالت كنت تواقة إلى أن أقدم شيئا لوالدي فأمي تقترض الكثير، وميج قدمت راتبها عن ثلاثة أشهر وراحت تقص عليه بالتفصيل كيف باعت شعرها الطويل للحلاق، وكيف ساومها على ثمنه، وكم أسفت على شعرها الغالي وتوجهت بخطابها إلى أنها قائلة: لقد احتفظت لك بخصلة يا أمي الحبيبة أخذت الأم الخصلة وشكرت ابنتها وفي حلقها غصة وساد جو من الوجوم وانصرفت الفتيات إلى النوم، ولكن جو لم تنم كانت راقدة في الفراش بلا حراك كانت حزينة على شعرها، ولكن لم تكن نادمة أخفت أحزانها وقالت لأختها ميج التى حاولت أن تواسيها: اعتبري الموضوع منتهياوفيما هن نائمات عند منتصف الليل، كانت أمهم تطوف بين أسرتها، تغطي هذه أو تعدل مخدة تلك، وترنو إليهن بحنان داعية لهن بالسكينة وعند الفجر، استيقظت الشقيقات الأربع وهن يتهيأن لوداع مفعم بالحبور والأمل وبدا كل شيء غريبا عندما نزلن إلى أسفل طعام الإفطار وجه حتة كل شيء بدا غريبا أما السيدة مارش، فقد بدا عليها الشحوب وآثار القلق والأرق وران الصمت على الجميع

بيد أن قرقعة عربة مقتربة جعلتهن يتنبهن ويصغين إنها لحظة الفراق الصعبة ولكن البنات تجالدن بصبر، وقبلن أمهن بهدوء، وحاولن أن يوحين لها بمرح حين همت بالرحيل كان لوري وجده في وداعها أما السيد بروك، فقد أظهر قدرا كبيرا من الشهامة والرقة قالت الأم مودعة: الوداع يا أحبائي ليباركنا الله ويحفظنا جميعا وقبلت الجميع وهرعت إلى العربة وما كادت الأم تبتعد قليلا حتى قالت جو: أحس بشيء أشبه بالزلزال وعقبت ميج: يبدو لي أن نصف البيت قد رحل صاحت حتة: والآن هيا إلى شرب القهوة يا حبيباتي أبقاكن الله ذخرا للعائلة قالت جو وقد استردت روحها المعنوية: ليكن شعارنا: الأمل والعمل كانت الأنباء الواردة من والدهن، الذي انتعشت روحه بمجيء زوجته، تدعو إلى الاطمئنان وكان السيد بروك يوافيهن بنشرة يومية عن صحته وكانت ميج بوصفها أكبر أفراد العائلة، هي التي تقرأ الرسائل، فيما راحت الأخوات يتبارين في كتابة الرسائل إلى والديهن

عادت الأمور تنتظم في المنزل بعد أن اطمأنت الفتيات إلى صحة والدهن واقترحت بيث أن تذهب ميج إلى أسرة هملز التي أوصت والدتهن بها تحاملت بيث على نفسها، رغم ما بها من صداع وبعد تقاعس أخواتها، وشقت طريقها وسط الريح القارسة، بعد أن ملأت سلتها بأشياء حملتها لصغار تلك الأسرة الفقيرة وعادت بيث إلى المنزل في ساعة متأخرة في حالة يرثى لها سألتها جو عما بها، فراحت تذرف دموعها وتقول: لقد مات طفل السيدة هملز في حضني قبل أن تعود إلى البيت قالت جو وهي تأخذ شقيقتها بذراعيها يا لأختي المسكينة كم كان الأمر مرعبا لك كان علي أن أذهب لا تبكي لا عزيزتي كيف تصرفت؟

بقيت حتى جاءت السيدة هملز مع الطبيب قال الطبيب: إنه ميت إنها الحمى القرمزية كنت حزينة جدا وبقيت معهم إلى أن طلبوا منى الذهاب إلى البيت فورا، وأن آخذ الترياق وإلا أصبت بالحمى قالت جو برعب بعد أن لامت نفسها على تقاعسها: ماذا تفعل الآن؟

ولجأتا إلى حنة التي اقترحت استدعاء الطبيب وبقاء بيث في المنزل، على أن تبقى معها إحدى شقيقاتها لتعنى بها كما اقترحت أن تذهب إيمي بدلا من بيث إلى منزل العمة مارش احتجت إيمي باكية قائلة إنها كانت تفضل الحمى على الذهاب إلى منزل السيدة مارش ولكن لوري استطاع أن يقنعها برقة واعدا إياها بأن يأتي لاصطحابها يوميا فرضخت إيمي، وغادرت ساكنة مع لوري وجو وكان الطبيب قد شخص مرض بيث بأنه أعراض حمى وتولت حنة القيام بأعباء العناية، وكذلك كرست جو نفسها ليل نهار لبيث، التي كانت تتحمل الألم من دون شكوى، إلى أن جاء وقت لم تعد فيه بيث تستطيع تمييز وجوه من حولها، وراحت تطلب أمها بتول وفيما كانت ميج تفكر في إخبار والدتها بالأمر، جاءت أنباء تزيد من أحزانهن، فقد علمن أن والدهن أصيب بانتكاسة تمنعه لفترة طويلة من العودة إلى البيت كانت الأيام حالكة وشديدة الوطأة على قلوب الفتيات، فيما شبح الموت يخيم على المنزل الذي كان عامرا بالسعادة ذات يوم كان الجميع يفتقدون بيث ويسألون عنها ويتمنون لها الشفاء العاجل كان يوم الأول من ديسمبر يوما شتويا شديدا

فقد عصفت الرياح وهطلت الثلوج بقوة وعاد الطبيب بانجز بيث ذلك الصباح، وعندما جس نبضها قال لحتة بلهجة خافتة: إذا كانت السيدة مارش تستطيع أن تفارق زوجها، فمن الأفضل استدعاؤها جاء لوري حاملا رسالة تفيد بأن صحة السيد مارش آخذة فى التحسن ثانية ولكنه وجد جو في غاية الاضطراب واغرورقت عيناها بالدموع وهي تخبره بما قاله الطبيب بشأن استدعاء والدتها ولكن يد لوري الحانية التي أمسكت بيدها، استطاعت أن تعيد إليها الراحة والثقة بالنفس فقال لها مشجعا: تأملي خيرا يا جو ستعود أمك قريبا، وعندئذ يكون كل شيء على ما يرام وتابع مطمئنا: لقد أبرقت إلى أمك البارحة وأجابني بروك بأنها قادمة في الحال ستكون هنا الليلة قفزت جو من مكانها وأحاطته بذراعيها وهي تبكي بدموع الفرح: أوه لوري أوه يا أمي أنا سعيدة للغاية وقال الطبيب إن بعض التغيير قد يطرأ على بيث حوالي منتصف الليل، وإنه سيعود عند ذلك اضطجعت حتة عند قائمة السرير وغرقت في نوم عميق أما لوري، فقد اضطجع على السجادة وهو يحدق في المدفأة

لم تنس الفتيات أبدا تلك الليلة التي لم يعرفن فيها طعم النوم كان المنزل صامتا كالقبر ولم يكن يسمع سوى عويل الريح ومرت ساعة بعد منتصف الليل، ولم يطرأ أي تطور وغادر لوري إلى المحطة كي يستقبل السيدة مارش، فيما تملك الفتيات خوف مبهم من تأثر الطبيب وعند الساعة الثانية صباحا، تنبهت جو التي كانت واقفة عند النافذة، إلى صوت حركة في السرير التفتت بسرعة فوجدت أختها ميج منحنية وقد أخفت وجهها، فانتابتها فكرة مرعبة أن تكون بيث قد توفيت

و أن ميج تخشى أن تبلغها ولكنها أحشت بسعادة غامرة عندما وجدت نظرة الألم على وجه أختها قد تلاشت فانحنت عليها وقبلتها فوق جبينها الرطب وسرعان ما افاقت حتة من نومها ونظرت إلى بيث وجست يدها وأصغت إلى حركة شفتيها، وقالت بدهشة: لقد انقشعت الحمى نومها طبيعي، وهي تتنفس بسهولة يا إلهي العظيم وجاء الطبيب ليؤكد لهن هذه الحقيقة ويخبرهن أنها ستتماثل قريبا للشفاء لم يكن لسعادتهن حدود قالت جو لو أن أمي تأتي الآن قالت ميج: سأضع لها هذه الوردة البيضاء في المزهرية حتى تكون هي ووجه أمي أول شيء تراه عندما تستيقظ في الصباح لم تشرق الشمس في يوم من الأيام بمثل تلك الروعة كما أشرقت ذلك الصباح، ولم يبد العالم بهيجا في عيون جو وميج المثقلة، كما بدا في ذلك اليوم واكتملت سعادتهما بصوت لوري البشوش يعلن عن وصول أمهن فيما كانت هذه الأحداث تمر بالأسرة، كانت إيمي تمر بأوقات عصيبة في منزل العمة مارش الصارمة كانت تريد أن تعلمها في فترة وجيزة، ما تعلمته خلال ستين عاما وهذا ما جعل إيمي الطيبة الودودة تشعر بنفسها وكأنها أسيرة كان عليها أن تقوم بكثير من الواجبات المنزلية المتلاحقة ولم يكن لديها وقت لدروسها أو راحتها أما الأماسي فكانت عذابا حقيقيا لإيمي، إذ تضطر إلى سماع قصص السيدة العجوز المطولة عن ذكريات شبابها ولولا حضور لوري اليومي لتفقدها، ووجود الخادمة إيستر،

لما كان بوسع إيمي أن تتحمل البقاء في ذلك المنزل المضجر وإيستر امرأة فرنسية عملت في خدمة السيدة مارش منذ زمن طويل كانت تمضي أوقاتا سعيدة معها، وهي تستمع إليها تقص بعض قصص حياتها وكانت إيستر تسمح لإيمي أن تتفحص أشياء السيدة مارش الجميلة وحُليها الثمينة، التي أعجبت بها إيمي أيما إعجاب وتمنت لو تحظى بقطعة منها تساءلت إيمي:أتمنى لو أعرف لمن ستؤول هذه الأشياء الجميلة بعد وفاة السيدة مارش؟ فقالت لها إيستر هامسة :

ستؤول إليك وإلى أخواتك لقد كنت شاهدة على وصيتها فرحت إيمي أيما فرح وتمنت لو أن السيدة مارش تسمح لهن باقتناء هذه الأشياء الآن وعزمت على أن تكتب وصية مشابهة أسوة بعمتها، وإن كانت لا تملك سوى أشياء بسيطة طلبت إيمي مساعدة إيستر في كتابة وصيتها كما طلبت توقيعها عليها كشاهدة، وكذلك توقيع لوري كشاهد ثان تناول لوري الوثيقة بجدية وراح يقرأ :رغبتي الأخيرة ووصيتي أوصت إيمي في هذه الوثيقة بكل لوحاتها وصورها والمئة دولار التي تملكها إلى أبيها يتصرف بها كما يشاء

وأوصت إلى أمها بملابسها وصورتها وميداليتها، وخالص حبها وأوصت إلى أختها ميج بخاتمها الأزرق إذا حصلت عليه وصندوقها الأخضر، وعقدها، ومخطط كتابها وأوصت إلى جو بدبوسها ومحبرتها البرونزية وأوصت إلى بيث إذا عاشت بعدها بالدمى الخاصة بها ومروحتها وحذائها ولم تنس إيمي السيد لورنس من وصيتها

تساءل لوري بعد أن قرأ الوصية: من أدخل مثل هذه الفكرة في رأسك؟ هل أخبرك أحد عن توزيع بيث لأشيائها بين أخواتها ومنهن أنت؟ ومع هذا لم تفكر في كتابة وصية وأسفت إيمي لأن أختها وزعت خصلات من شعرها على جميع أفراد الأسرة

كان أول شيء وقع عليه نظر بيث بعد أن افاقت من رقدتها الطويلة، هو وجه أمها والوردة الصغيرة ولم تستطع وقد هزها الضعف، سوى أن تبتسم وتعود إلى النوم ثانية قدمت ميج وجو الطعام لأمهما وراحتا تصغيان إلى حديثها عن والدهما، وعن وعد السيد بروك بالعناية به، وعن العاصفة التي أثارتها عودتها إلى المنزل، وعن الوجه البشوش الذي استقبلها به لوري عند وصولها، وقد أخذ منها الإعياء والبرد والقلق كل مأخذ فرحت إيمي فرحا غامرا بلقاء أمها التي اصطحبتها إلى الكنيسة وكان اللقاء مناسبة كي تفضي إليها بكل ما لديها وفيما كانت إيمي تشير إلى صورة المسيح الصغير في حضن أمه العذراء، لمحت أمها الخاتم في يدها فأخبرتها إيمي أنه هدية من العمة مارش، التي قالت إنها تحبها وتريد أن تستبقيها عندها وكان رأي أمها أنها ما زالت صغيرة على أن تضع في إصبعها أشياء كهذه تسللت جو إلى غرفة بيث حيث كانت أمها، وأسرت إليها بحكاية العلاقة الحميمة ما بين ميج والسيد بروك الذي يمنعه الخجل من مصارحتها فسألتها الأم وقد ارتسمت على وجهها علامة تعجب: وهل تهتم ميج به؟وحاولت جو أن تموه أو تنفي أنها لاحظت شيئا محددا على أختها فقالت الأم :إذا فأنت تتخيلين أن ميج غير مهتمة بجون؟ سألت جو متعجب: من؟قالت الأم: السيد بروك، إنني أدعوه جون الآن لقد كان مثال الإنسان الطيب في العناية بوالدك وبي

وكان صريحا وشريفا بشأن عواطفه نحو أختك وقال إنه يريد أن يحصل على بيث قبل أن يتقدم لطلب يدها وطلب منا أن نسمح له أن يحبها ويعمل على إسعادها إنه شاب ممتاز، ولكنني لا أريد لأختك ميج أن تتزوج فهي صغيرة جدا وأوصت الأم ابنتها بألا تخبر أختها ميج بأي شيء، وقالت: أريد أن أراهما معا حتى أستطيع أن أحكم على مشاعرهما بصورة أفضل وتابعت الأم إن ميج لا تزال في السابعة عشرة من عمرها وجون يحتاج إلى سنوات حتى يستطيع تأمين منزل لها لقد اتفقت مع والدك على ألا ترتبط أختك بأي رابط أو زواج قبل العشرين إذا كان أحدهما يحب الآخر فبوسعهما الانتظار وتذوق حلاوة الحب إنها فتاة واعية وأعرف أنها ستعامله بطريقة لبقة أتمنى لها كل السعادة

تفحصت ميج وجه جو في اليوم التالي بإمعان، وكأنها تحاول أن تقرأ ما تخفيه من سر لم تشأ ميج أن تستنطقها وتركتها تفصح عن سرها من تلقاء نفسها لاذت جو بالصمت متجاهلة الموضوع، وخشيت في الوقت نفسه أن تلجأ إلى ملاذها لوري خشية أن ينتزع السر منها وهذا ما حاوله بالفعل بشتى الوسائل دونما جدوى واستطاع بالإلحاح أن يدرك أن الأمر يتعلق بميج والسيد بروك وغاظه ألا يكون موضع ثقة معلمه فعزم على الانتقام في اليوم التالي، سلمت جو رسالة مختومة إلى ميج، ما أثار دهشة الأخيرة وما كادت ميج تقرأ بضعة أسطر حتى جفلت وندّت منها صيحة فزع: هذا خطأ فاحش واتهمت ميج أختها جو بتدبير مكيدة ونعتتها بعبارات قاسية نفت جو التهمة عن نفسها، وراحت تقرأ وأمها الورقة، التي ألقت بها ميج إليهما كانت الرسالة المكتوبة بخط غير مألوف تقول :عزيزتي الغالية مارجريت لا أستطيع أن أكبح عواطفي أكثر من ذلك،

وأريد أن أعرف مصيري قبل أن أعود لا أجرؤ على إعلام والديك بعد، ولكنني أعتقد أنهما سيكونان راضين عندما يعلمان أن كلينا يهيم بالآخر سوف يساعدني السيد لورنس في الحصول على موقع مناسب، وأنت يا غاليتي ستمنحينى السعادة ألتمس منك ألا تخبري عائلتك بشيء الآن، وأن ترسلي فقط كلمة واحدة تبعث على الأمل عن طريق لوري المخلص لك جون

صاحت جو بغيظ بعد قراءة الرقعة: يا للوغد سينال مني تقريعا شديدا ولسوف أجبره على الاعتذار وأدركت الأم هنا أن في الأمر مكيدة ما وطلبت من جو أن توضح موقفها أولا وأقسمت جو أنها لم تر هذه الرقعة من قبل كما أن السيد بروك لا يمكن أن يكتب بأسلوب كهذا وهنا فاجأت ميج الجميع: بل إنه يشبه أسلوبه واعترفت ميج بأنها أجابت عن رسالته هنا طلبت منها أمها بلهجة آمرة أن تقص عليها الحكاية كلها فقالت ميج: تلقيت رسالته الأولى من لوري الذي بدا لا يعرف شيئا عن فحواها قلقت في البداية، وأردت أن أعلمك ولكني آثرت ألا أخبرك لأنني أعرف مقدار معزتك للسيد بروك اغفري لي يا أمي أشعر بسخافة موقفي الآنسألت السيدة مارش: ماذا قلت له؟ قالت ميجن قلت له إني ما زلت صغيرة على مثل هذه الأمور، وإنه ينبغي أن يتحدث إلى والدي، وشكرت له حسن المعامله وطلبت أن نظل أصدقاء لفترة طويلة

ابتسمت الأم لجواب ابنتها، فيما صاحت جو باستحسان: هيا تابعي يا ميج ماذا كان رده؟ كتب بأسلوب مختلف مؤكدا أنه لم يكتب أية رسالة حب وهنا أدركت جو وقد أصابها ما يشبه الدوار أن لوري هو كاتب الرسالتين واحتفظ بالرسالة حتى يشمت بها لأنها لم تخبره بسرها قالت ميج: لا تحتفظي بأسرار بعد اليوم أعلمي أمك بكل شيء كما أفعل أنا فأرادت الأم أن تضع حدا لهذه المهازل على الفور، فطلبت من جو أن تحضر لوري وعادت به جو بالفعل دون أن تخبره بشيء وعندما وصل ورأى وجه السيدة مارش المتجهم، أدرك على الفور جدة الموقف بقيت الفتاتان خارج غرفة الاستقبال وطال الحوار وعندما دخلتا كان وجه لوري ينم عن ندمه وعاد لوري يطلب المغفرة من ميج التي عاتبته بشدة في البداية، ثم عادت فغفرت له أمام تولاته الصادقة وانفرجت أسارير الأم، مرت بعد ذلك أسابيع هادئة ومع اقتراب عيد الميلاد، راحت جو تقترح احتفالات غريبة احتفاء بهذا العيد السعيد غير العادي وبشرت أيام عدة من الطقس اللطيف بعيد ميلاد سعيد وشعرت بيث بنشاط زائد ذلك اليوم، وسارعت إلى ارتداء هدية أمها وقالت وقد غمرها الجميع بالهدايا والمحبة:لو كان والدي هنا لكنت في قمة السعادة ورددت بعدها شقيقاتها الثلاث الأمنية ذاتها وأخذت السيدة مارش تقلب نظرها ما بين رسالة زوجها وابتسامة بيث، والحلية الذهبية التي وضعتها بناتها على صدرها ثم قالت بامتنان: هل يمكن أن أكون أسعد حالا؟ فتح لوري باب غرفة الضيوف وأطل برأسه بهدوء كان سعيدا بما استقبل به من حسن الوفادة وهو يقدم هديته لأسرة مارش في عيد الميلاد

وفجأة دخل السيد مارش ومعه السيد بروك أذهلت المفاجأة الجميع لبرهة وعقدت ألسنتهم وسرعان ما امتدت الأذرع المشتاقة لتعانق الأب الغائب وكان من بين هذه الأذرع بيث التي تحاملت على نفسها وفتحت باب غرفتها لتلقي بنفسها في أحضان والدها عمت السعادة المنزل وغمرته ولم تنس السيدة مارش في ذروة سعادتها أن تشكر للسيد بروك عنايته الصادقة بزوجها ولم ينس بروك بدوره أن يذكر بأن السيد مارش يحتاج إلى الراحة كان عشاء الميلاد رائعا، وعلى المائدة تصدر الديك الرومي المحمر الشهي وكان على المائدة السيد لورنس وحفيده اللذان كانا مدعوين إلى العشاء وعلى رأس المائدة جلس الأب وابنته بيث جنبا إلى جنب على كرسيين مريحين شرب الجميع أنخاب الصحة، وتحدثوا، وغنوا، واستمتعوا بوقت سعيد حقا وما إن رحل الضيوف حتى تحلقت العائلة السعيدة حول المدفأة، وأخذت الفتيات يتحدثن عن ذكريات العام الفائت، وما واجهن خلاله من صعاب قال الأب وهو يقلب بين وجوه بناته الأربع: ما زال أمامكن طريق شاق بعض الشيء أيتها المناضلات الصغيرات، ولكنكن أبديتن جانبا من الشجاعة، وأعتقد أن الأعباء في طريقها إلى الانزياح عن طريقكن

دهشت البنات وهن يسمعن كلام والدهن، وتساءلن عما إذا كانت والدته قد أخبرته شيئا قال الأب: لقد قمت باستكشافات كثيرة هذا اليوم و أمسك الأب بيد ابنته ميج وشد عليها قائلا: غاليتي ميج، أنا فخور بأن أصافح هذه اليد العاملة الصغيرة همست بيث التي كانت جالسة في حضن أبيها :وماذا عن جو؟ قل شيئا عنها لقد كانت شديدة الحنو علي قال الأب ضاحكا: أنا لم أعد أرى جو الصغيرة التي تركتها منذ عام أنا أرى اليوم جو الطيبة التي تعرف كيف تلبس وتتحدث وتمشي وأكاد أفتقد ابنتي الحرون، ولكن إذا كان الله قد أبدلني بها امرأة قوية ومعينه فسأكون في غاية الرضا قالت إيمي، وهي تنتظر دورها: والآن جاء دور بيث قال الأب وهو ينظر إلى وجه بيث بحنان: لقد أعادك الله إلي سالمة يا بيث وأرجو أن يوفقني في أن أحافظ عليك وبعد لحظة صمت، قال وهو ينظر إلى إيمي التي كانت جالسة عند قدميه لقد لاحظت أن إيمي تقوم بالكثير من الواجبات المنزلية، وتعنى بالآخرين، واستنتجت أنها تفكر في الآخرين أكثر من نفسها، وأنا فخور بذلك وسأكون فخورا أكثر عندما أرى ابنتي المحبوبة والموهوبة تجعل الحياة جميلة لها وللآخرين سألت جو: فيم كنت تقرأين يا بيث؟ كنت أقرأ في تقدم الرحالة كيف وصل كريستيان إلى مرج أخضر مبهج، بعد الكثير من المتاعب، حيث يزهو النبق طوال العام، وحيث أقاما بسعادة كما نفعل الآن، قبل أن يتابعا رحلتهما إلى غايتها

قالت بيث ذلك ثم قامت من حضن أبيها وخطت خطوات نحو البيانو قائلة: لقد حان وقت الغناء سأحاول أن أغني أغنية ابن الراعي التي سمعها الرحالة لقد وضعت اللحن من أجل والدي لأنه يحب كلمات الأغنية تحلقت الأم وبناتها في اليوم التالي حول السيد مارش وتركن كل شيء للاهتمام به والإصغاء إليه وكانت علامات القلق ترتسم على وجهي السيد والسيدة مارش وهما يتابعان ميج بنظراتهما وبدا وكأن ثمة مسألة ما معلقة تحتاج إلى حل ولم تكن هذه المسألة سوى تحديد علاقة جون بميج كانت جو ترى ضرورة حسم هذه المسألة، في حين ما كانت ميج تستطيع أن تبدي رأيا، طالما أن جون لم يتقدم لطلب يدها، فضلا عن أن والدها لا يزال يعتقد أنها صغيرة وفيما الأختان تتحاوران حول الرد المناسب إذا ما تقدم جون لطلب يدها، إذا بجون يدخل ويلقي تحية المساء عليهما، وقد بدا على وجهه الاضطراب وقال مبررا مجيئه بأنه نسي مظلته، كما أنه يريد أن يتفقد صحة السيد مارش

تسللت جو من الغرفة كي تترك لميج فرصة للتحدث مع جون ولكن ما إن خرجت حتى انسحبت ميج بدورها نحو الباب قائلة: أمي تود أن تراك أرجو أن تجلس وسوف أطلبها قال لها السيد بروك وقد بدا متألما: لا تذهبي هل أنت خائفة مني يا مارجريت؟ احمر وجه ميج، كمن أحس بأنه اقترف ذنبا فقد قالت له إنها لا يمكن أن تخاف منه وقد كان طيبا جدا مع والدها، وإنها لا تريد سوى أن تشكره قال وهو يمسك يدها بكلتا يديه وينظر إليها بتوق شديد :هل أدلك كيف تشكريني؟ سحبت ميج يدها مذعورة وقالت وهي تحاول الانسحاب: لا، أرجوك وتابع السيد بروك برقة: لا أريد أن أزعجك أريد أن أعرف فقط إذا كنت تهتمين بي إني أحبك يا غاليتي كثيرا

أربكت المفاجأة ميج ونسيت كل ما كانت حضرت من كلمات لهذه المناسبة وألح عليها جون ليعرف رأيها، وقال إنه لا يستطيع أن يعمل بحماس ما لم يحصل على هذه المكافأة قالت ميج بتعثر إنها لا تزال صغيرة، وتابعت وهي تسحب يدها من بين يديه، إنها لا تستطيع أن تختار الآن، وطلبت منه أن يتركها ويمضي في سبيله شعر السيد بروك المسكين وكان أحلامه تنهار أمامه ومع هذا، فقد ظل متمسكا بأهداب الأمل علها تغير رأيها ولكن جواب ميج كان قاسيا وقاطعا: لا تفكر بي مطلقا وبدا السيد بروك حزينا شاحبا، ولكنه ظل ينظر إليها برقة وتوق شديد عل قلبها يرق له في تلك اللحظة المثيرة، دخلت العمة مارش وكان دخولها المباغت مفاجأة أذهلت الاثنين وراحت تقلب النظر بين وجه جون الشاحب ووجه ميج المتورد خجلا، باستغراب وسألت العمة ابنة أخيها عمن يكون جون وعن سر موقفها المرتبك وحاولت ميج أن تتملص من الإجابة، ولكن العمة أصرت على معرفة كل شيء وعندما عرفت شخصيته استشاطت غضبا وحذرت ميج من هذا الزواج وهددتها بحرمانها من الميراث إن هي ارتبطت بهذا الإنسان البسيط كانت العمة مارش تعرف كيف تثير روح المعارضة لدى الآخرين وهذا ما حدث بالنسبة لميج التي استفزها تحيز عمتها وإلحاحها؛ فاندفعت إلى رفض ما تقوله عمتها بعناد قائلة : سأتزوج من أشاء يا عمتي مارش، وبوسعك أن تهبي نقودك لمن تشائين اشتد غضب العمة لرفض ميج وأخبرتها أنها ستندم على تصرفها ثم نصحتها بالتفكير في الموضوع جدا، وأن تتعقل في اتخاذ قرارها، وإلا فستندم طوال حياتها لكن جو نفت بشدة أن يكون جون يريد أن يستغل علاقاتها الغنية، واحتجت بشدة على هذه الاتهامات المتحاملة

قائلة: جون لا يريد أن يتزوجني من أجل المال نحن نريد أن نعمل معا أنا لا أخشى الفقر صفقت العمة الباب في وجه ميج وخرجت، تاركة إياها في بحر من الحيرة وقبل أن تفيق من حالتها، فاجأها جون بأنه كان يستمع إلى الحوار كله، وهو يشكر لها دفاعها، وهذا ما يدل على أنها مهتمة به وطلب إليها أن تدعه يبقى لأنه سيكون سعيدا بذلك، فوافقته ميج وهي تخفي وجهها في صدره بعد دقائق قليلة من مغادرة العمة الغرفة

لم يدر أحد بالحديث الطويل الذي جرى بين الوالدين والسيد بروك في غرفة الاستقبال ولكن عندما حان وقت العشاء، كانت السعادة بادية على وجوه الجميع، خصوصا على وجهي جون وميج وشعرت جو أن كآبتها لا مبرر لها وسط سعادة كل من حولها

قالت السيدة مارش: لقد هبت رياح التغيير على كل عائلة تصادف سنة مليئة بالأحداث، حافلة بضروب الأتراح والأفراح تلك كانت حال السنة الأخيرة، ولكنها انتهت على خير في النهاية قالت جو: آمل أن تكون السنة المقبلة أفضل

وقال جون وهو يبتسم لميج: آمل أن تنتهي السنة الثالثة على ما يرام وكانت عبارة جون تدل على أنه اتفق مع ميج ووالديها على فترة خطبة تمتد ثلاث سنوات يعملان خلالها على تدبير أمورهما واستكمال استعداداتهما ودخل لوري يحمل الورود للخطيبين وعم الفرح جو البيت الذي بدأت ترفرف فوقه أجنحة السعادة لم يطرأ كثير من التبدلات طوال السنوات الثلاث التالية على الأسرة الهادئة انتهت الحرب وعاد السيد مارش آمنا إلى بيته أما جون بروك فكان يكافح برجولة، ويكرس نفسه للعمل كي يوفر منزلا لميج وبسبب عصاميته الشديدة، رفض أكثر من عرض سخي من قبل السيد لورنس، وآثر أن يكد معتمدا على نفسه

أما ميج فقد كانت تمضي الوقت بين العمل والانتظار، وتزداد خبرة بشؤون المنزل كما تزداد جمالا وكان المستقبل يزداد إشراقا، حين كانت تجلس مع جون عند الغروب، وهما يتحدثان عن مشاريعهما الصغيرة

وامتنعت جو عن الذهاب إلى بيت العمة مارش، وقد أثرت إيمي التي عرفت كيف تسايرها، وتفرغت للأدب، الذي كان يدر عليها بعض النقود أما لوري الذي كان قد التحق بالكلية، إرضاء لجده، فقد بات شغوفا بها إرضاء لمستقبله

صار اسم البيت الذي هيأه السيد بروك لميج برج الحمام كان بيتا منمنما ذا حديقة صغيرة خلفه، ومدخل معشوشب ضيق أمامه، حيث أرادت ميج أن تزرع الأزهار والشجيرات الخضراء الصغيرة، وفي وسطها نافورة ماء لم يكن البيت باذخا ولكنه كان ساحرا بأثاثه البسيط وترتيبه الأنيق

قالت السيدة مارش تسأل ابنتها وهي تتأبط ذراعها وتدخل معها المملكة الجديدة: هل أنت راضية؟ هل يبدو لك منزلا لائقا وتشعرين بأنك ستكونين سعيدة هنا؟ وكان جواب ميج أنها تشعر بسعادة لا توصف، وأن الفضل في ذلك يعود إلى كل من حولها وتابعت مع أمها وأختها بيث تفقد أرجاء المنزل، ورحن يتندرن حول مواقف العمة مارش من حرمان ميج هدية الزواج كان الجميع في انتظار لوري في زيارته الأسبوعية التي تعتبر حدثا مهما في حياة تلك الأسرة الوادعة ويأتي لوري حاملا معه هدية مغلفة إلى ميج ولما لاحظ نظرات الدهشة والاستفسار في عيون من حوله، قال: إنها شيء مفيد للمنزل في حالة الحريق أو السرقة وما عليك إلا أن تهزي هذا الجهاز إذا ما شعرت بالخوف حتى يوقظ الجوار في الحال وجرب لوري الجهاز أمامهن إثباتا لكلامه انفردت جو بلوري قليلا وطلبت إليه تغيير سلوكه وقالت له إنه يبدد كثيرا من المال على الآخرين، وإن كرمه الزائد وطيبة قلبه، يجعلان الآخرين يطمعون في ماله وانتقدت جو إسرافه في ملابسه و تأنقه المفرط

كانت لهجة جو أقرب إلى التقريع، ومع هذا لم يبد لوري استياء، وأخذ الموضوع بشيء من المزاح كعادته وحاول أن يغير مجرى الموضوع بالحديث عن فتى صغير يدعى باركر مولع بإيمي وقال إنه يتحدث عنها دائما ويكتب لها الشعر ولعل من الأفضل أن يضع حدا لهذا الموضوع من البداية قالت جو بشيء من الحدة: طبعا، فنحن لا نريد زيجة أخرى في عائلتنا حتى سنوات مقبلات قال لوري : الأيام تمضي بسرعة والدور الآتي دورك قالت جو :لا تكمل، لا أحد يريدني قال لوري وهو ينظر إلى جو نظرة ذات معنى: إنك لا تدعين فرصة لأحد، ولا تظهرين الجانب الرقيق من شخصيتك وإذا ما وجد أحدهم بصيصا من نور وحاول أن يبدي إعجابه، فسرعان ما تحبطينه، وتحتد طباعك بحيث لا يعود أحد يجرؤ على لمسك أو النظر إليك قالت جو محتدة: أنا لا أحب تلك الأشياء أنا مشغولة جدا، ولا وقت عندي لمثل هذا الهراء لا تقل مزيدا في هذا الموضوع، فعرس ميج يشغلنا جميعا قال لوري وهو يودعها عند البوابة: تذكري يا جو أنك التالية بدت ميج كوردة متفتحة مثل أزهار الربيع في ذلك اليوم كانت لا تريد الملابس الزاهية ولا عرس من الأعراس المتعارف عليها فهي تريد عرسا لمن تحبهم وتشعر بذاتها بينهم ولقد أعدت ثوب عرسها بنفسها وكانت الحلية الوحيدة التي تقلدتها زنابق الوادي التي يحبها جون أكثر من أية أزهار أخرى

قالت إيمي وهي تقلب نظرها في أختها بإعجاب: إنك تبدين كميج التي عهدناها دوما مع فارق واحد هو أنك اليوم جميلة جدا ورقيقة جدا، وكم أود أن أعانقك لولا خوفي من أن أفسد ثوبك فتحت ميج ذراعيها لشقيقتها وقالت: قبليني ولا تبالي بثوبي بدت شقيقات العروس الثلاث في أبهى حلة وأجمل زينة بلباسهن الفضي ووجوههن النضرة المستبشرة لم تكن هناك كما اتفق مظاهر احتفال، وكان كل شيء يبدو طبيعيا ولهذا استهجنت العمة مارش عندما وصلت أن تجد العروس تهرع للترحيب بها، وأن تجد العريس وقد لف حوله طوقا من الأزهار، وقالت بلهجة استنكار لابنة أخيها إن على العروس أن تتصدر في مكانها حتى آخر لحظة كي يراها الجميع أجابتها ميج محتدة بأنها ليست للعرض، وأن الحضور لم يأتوا كي يحدقوا فيها، أو ينتقدوا ثوبها، أو يحصوا تكلفة المأدبة الصغيرة التي أعدتها إنها سعيدة بما يقوله الآخرون وهي تريد أن تكون حفلة العرس على هواها عم سكوت مفاجئ عندما وقف السيد مارش و العروسان تحت القوس وتحلقت حولهم الأم وبناتها لم يسمع أحد تقريبا صوت العريس المرتعش، في حين قالت العروس بثقة وصوت جلي وهي تنظر في عيني عريسها :أوافق استطاعت جو اللصيقة بالعروس أن تحبس دموع الفرح وأخفت بيث وجهها في صدر أمها، في حين وقفت إيمي شامخة كتمثال رشيق كانت جبهتها ناصعة البياض كنور الشمس وشعرها قد ازدان بالأزهار ما إن تمت آخر خطوة في إجراءات عقد القران حتى بكت ميج قائلة:

أول قبلة لمارمي وبدت العروس كوردة متفتحة وهي تتلقى التهاني كان كل شيء على ما يرام رغم بساطته وبعد تناول العشاء الخفيف، تفرق المدعوون في أرجاء المنزل والحديقة وتحلق الأزواج حول العروسين وراحوا يرقصون وقد تشابكت أيديهم، فيما اصطف العزاب والعوازب أزواجا أزواجا ورقص الجميع بمرح وسعادة تمنت العمة مارش السعادة للعروس وباركت لها وفي نفسها شيء من الغصة لم يكن بيت الزوجية الصغير بعيدا عن بيت أسرة مارش

وكان على العروسين أن يخطوا خطوات قليلة حتى يصلا إلى عش الزوجية وعندما وصلت العروس إلى الباب بثوبها الأبيض الرائع، التف الجميع حولها لوداعها كانوا يتابعونها بوجوه ملؤها الحب والأمل، وهي تبتعد متكئة على ذراع زوجها ويداها ممتلئتان بالورود وهكذا بدأت حياة ميج الزوجية

يحتاج الناس إلى وقت طويل حتى يتعلموا الفرق بين الموهبة والعبقرية، ولاسيما لدى الطامحين من الشبان والشابات، غير أن إيمي كانت تتعلم هذا الفرق بينهما من خلال الكثير من المحن فهي قد جربت في البداية، الرسم بالريشة والحبر وأحرزت نجاحا ولكنها ما لبثت أن تحولت إلى الرسم بالفرشاة والألوان، مستوحية لوحاتها من الريف والبحر، ومتأثرة بأعمال الرسامين الكبار وجربت بعد ذلك الرسم بالفحم كما استعملت الطين والجص ومع تقلبها في تجارب الفن وممارساته، فهي لم تغفل الجانب الاجتماعي من الحياة، فقد كانت تتعلم وتتمتع بأشياء أخرى، لأنها كانت تتطلع إلى أن تكون امرأة لافتة للنظر

واستطاعت بحصافتها أن تحقق نجاحا في هذا المجال وذات يوم طلبت من والدتها أن تسمح لها بدعوة عدد من زميلاتها قبل أن ينقضي العام المدرسي، لقضاء يوم في أحضان الطبيعة، وأن تحضر لهن بعض المأكل والمشروبات وقالت إنها ستستأجر عربة للنزهة تكفي لعدد المدعوات اللواتي تتوقع إيمي حضورهن

وجدت السيدة مارش أن فكرة ابنتها ربما تكون باهظة التكاليف حتى وإن تطوعت إيمي أن تدفع هذه التكاليف من جيبها واقترحت الأم دعوة أقل كلفة وأكثر تواضعا، دعوة مختلفة عما اعتاده زميلاتها من حفلات أو دعوات باذخة، إلا أن إيمي أصرت على موقفها لأنها أرادت أن تظهر وليمتها بالمظهر اللائق

وافقت الأم تاركة الأمر إلى حسن تدبير ابنتها وسرعان ما ذهبت إيمي سعيدة إلى شقيقاتها لتطلعهن على خطتها وافقت ميج في الحال، وأبدت استعدادها لتقديم كل مساعدة ممكنة ولكن جو امتعضت من الفكرة ووجدتها مضيعة للوقت والمال من دون طائل دافعت إيمي عن فكرتها بحرارة، وعن زميلاتها اللواتي كن طيبات معها ويتمتعن بمواهب عديدة، ورأت أنها من خلال مثل هذه المناسبات، تستطيع أن تكتسب مودة الآخرين، وتدخل المجتمعات رفيعة المستوى وهذه أمور تحرص عليها وافقت جو على مساعدة أختها على مضض وسرعان ما أرسلت الدعوات ولكن هذه العجالة أدت إلى نوع من الاضطراب في تحضير الأطعمة،

كما أدت إلى سوء تقدير للتكاليف، فجاءت النفقات أكثر بكثير مما توقعت إيمي وزاد الطين بلة، أن كلا من بيث وميج، ولأسباب قاهرة، اضطرت إلى عدم مساعدة إيمي في زحمة الاستعداد للوليمة واعترفت إيمي بأنه لولا مساعدة أمها لما كان بوسعها أن تنقذ الموقف

بدا الغداء في الوقت المحدد رائعا وتحملت الأم وميج مسؤولية الترحيب بالضيوف ، في حين تطوعت بيث لمساعدة حنة وراء الكواليس أما جو ، فقد تعهدت أن تكون بشوشة لطيفة المعشر مع الجميع وراحت إيمي بتمضية أوقات سعيدة بعد الغداء، عندما تذهب مع رفيقاتها في جولة خفت حماسة الأسرة مع هطول الأمطار قبل وقت الغداء ولكن إيمي كانت واثقة من حضور المدعوات، وانهمك كل من في المنزل في إعداد الطعام وعند الساعة الثانية عشرة، كان كل شيء جاهزا، فطلبت إيمي عربة النزهة وذهبت مسرعة للقاء ضيوفها سمعت السيدة مارش أصوات دبدبة فقالت: إنهن قادمات وهرعت إلى الرواق لاستقبالهن ، ولكنها ارتدت خائبة عندما لم تجد في العربة سوى إيمي وضيفة واحدة وصاحت على بيث كي تساعد حنة في إعادة ترتيب المائدة؛ إذ سيكون من السخف وضع كل هذه الصحون والطعام لضيفة واحدة ورغم هذا، فقد كانت إيمي سعيد برفيقتها الوحيدة التي لبت الدعوة وسرت الآنسة أليوت بجو البهجة من حولها وبعد الغداء، اصطحبت إيمي رفيقتها في جولة قريبة دامت حتى الغروب وعندما عادت مساء متعبة،

كان كل أثر للنزهة قد اختفي كانت إيمي حزينة لما أصابها من خيبة أمل فقالت بأسى :أشعر بالغثيان من منظر الطعام، ولا داعي للاكثار من الأكل حتى لاتشعرن بالتخمة مثلي فتؤذين أنفسكن علقت جو ساخرة على عودة إيمي مع ضيفة واحدة أما الأم فقالت مواسية: أنا آسفة جدا لشعورك بخيبة الأمل، ولكننا جميعا بذلنا كل ما في وسعنا لإرضائك قالت إيمي وفي صوتها رعشة: أنا راضية لقد قمت بما التزمت به، وليس خطئي أنني أخفقت وهذا عزائي أشكركن جميعا على مساعدتي وسأشكرك أكثر إن لم تلمحن إلى هذا الموضوع طوال شهر لم يثر أحد هذا الموضوع طوال شهور، ولكن كلمة وليمة كانت تبعث على الابتسام بين الجميع

ابتسم الحظ لجو فجأة، وكانت قد عادت تمارس هواية الكتابة الأدبية بهمة ونشاط وعندما كان يأتيها الإلهام، كانت تستغرق في كتابة أحداث روايتها وذات يوم، اصطحبت الآنسة كروكر لحضور محاضرة تاريخية وفي قاعة المحاضرات، تعرفت إلى شاب كان جالسا بجوارها مستغرقا في قراءة جريدة ولما وجدها الشاب مهتمة بما يقرأ، أعطاها نصف الجريدة قائلا: هل تريدين القراءة؟ إنها قصة رفيعة المستوى وقرأت جو، وسرعان ما غرقت في تفاصيل القصة وأحداثها وعندما سألها الفتى عن رأيها في القصة بعد أن أتمت قراءتها، قالت له :أعتقد أننا نستطيع أن نكتب مثلها إذا حاولنا فأجابها الفتى بأن الذين يكتبون مثل هذه القصص يكسبون جيدا وأشار إلى اسم الكاتبة تحت العنوان

بدأت المحاضرة، ولكن جو لم تلق لها بالا كانت مشغولة بالتفكير في الكتابة إلى الصحيفة وفي الجائزة التي يمكن أن تحصل عليها لقاء قصة عاطفية وما إن انتهت المحاضرة ونهض الحاضرون، حتى كانت عناصر القصة قد تجمعت في مخيلتها وراحت تستعرضها في ذاكرتها لم تنبئ جو أحدا عن خطتها، وانكبت على كتابة قصتها وعندما فرغت أرسلتها بالبريد إلى الصحيفة، مشفوعة بملاحظة تقول: إن لم تنل القصة الجائزة، فأنا سأكون سعيدة بأية مكافأة تستحقها

كانت الأسابيع الستة فترة طويلة، حتى كادت جو تفقد الأمل في نشر قصتها ولكن رسالة وصلتها أحيت الأمل في نفسها من جديد، إذ ما إن فتحتها، حتى سقط في حضنها شيك بمئة دولار وبعدما اتفاقت من المفاجأة، أخذت تقرأ الرسالة وتبكي، فقد كانت الرسالة بالنسبة إليها أثمن من الجائزة، لأنها كانت حافلة بعبارات التشجيع بدت جو شديدة الفخر والاعتزاز بنفسها عندما فاجأت أفراد الأسرة و الرسالة في إحدى يديها والشيك باليد الأخرى، معلنة فوزها بالجائزة علم البشر الجميع، وراحت أختاها تتخاطفان الجريدة لقراءة القصة، إلا أن والدها اكتفى بهز رأسه قائلا: تستطيعين تقديم ما هو أفضل يا جو، تطلعي نحو الأسمى ولا تفكري في النقود قالت إيمي: أظن أن النقود هي أفضل ما في الموضوع ماذا تنوين أن تفعلي بثروة كهذه؟ أجابت جو بسرعة: أود أن أرسل أمي وبيث إلى شاطئ البحر لقضاء شهر أو اثنين هناك صاحت بيث: أوه يا لها من فكرة رائعة ولكنني لا أستطيع ذلك لأنني سأكون أنانية إن فعلت قالت جو: بل ستذهبين هذا ما كنت أفكر فيه وهذا ما جعلني أنجح

وأخيرا، ذهبت الأم وابنتها بيث إلى شاطئ البحر وكانت جو سعيدة راضية عن الوجه الذي أنفقت فيه جائزتها وانصرفت إلى العمل مستبشرة، وربحت الكثير من الجوائز التي كانت تنفقها في تسديد بعض نفقات المنزل في ذلك العامالم تلفت قصص جو الأنظار كثيرا، ولكنها كانت تجد سوقا رائجة للنشر، وهذا ما شجعها على إعادة نسخ روايتها، وتقديمها إلى إحدى دور النشر التي اشترطت لنشرها أن تختصر إلى ثلث حجمها وطبعت بالفعل ونالت جائزة نقدية مقدارها ثلاثمئة دولار

بدأت ميج حياتها الزوجية بالتصميم على أن تكون سيدة منزل نموذجية فالبيت ينبغي أن يكون مريحا لجون الذي ينبغي أن تستقبله دوما بابتسامة، وأن توفر له كل أسباب الراحة وكانا زوجين سعيدين حتى بعدما اكتشفا أن ليس بالحب وحده يحيا الإنسان كانا يشعران أن بيتهما الصغير هو عشهما الهانئ، وأن حياتهما الزوجية ينبغي أن تسير نحو الأفضل لم تخل بداية حياة ميج الزوجية من بعض المآخذ الصغيرة، خصوصا في تحضير بعض أصناف الحلوى ولكنها لم تدع مثل هذه الهموم تشغلها وكانت تحدث نفسها باعتزاز :

يستطيع زوجي أن يحضر من يشاء من أصدقائه سأكون مستعدة دوما: بيت أنيق ومرتب، وزوجة تشيع البهجة، وطعام لذيذ، وترحاب جيد وكانت سعادة جون ببشاشة زوجته وحسن ترتيبها لا توصف، وكان حريصا بدوره على ألا يحضر أحدا من أصدقائه معه إلى المنزل من دون أن يعلم زوجته مسبقا بذلك وذات يوم، عاد جون إلى عش الزوجية فوجد الباب مغلقا خلافا للمألوف، والستائر مسدلة، وزوجته التي تعود أن تستقبله بالترحاب غير موجودة وخشي أن يكون قد أصابها مكروه فطلب إلى صديقه سكوت أن يتفقدها في الحديقة، فيما راح هو يدور حول المنزل،

وقد اشتم رائحة سكّر محروق كانت الفوضى تسود المطبخ، والجلي المحروق مسكوبا على الأرض، والسيدة بروك تجهش بالبكاء بحرقة فاندفع جون نحوها ملهوفا يسألها عما حدث ألقت ميج بنفسها على كتفيه مستنجدة وقد بدت عليها مظاهر الإعياء والاضطراب سألها جون بلهفة وهو يقبلها بحنان: ما الذي يقلقك يا حبيبتي؟ هل أصابك مكروه؟ قالت ميج وهي تبكي: نعم الجلي لا يريد أن يجمد، ولا أعرف ماذا أفعل؟

عندئذ ضحك جون كما لم يضحك من قبل، وابتسم صديقه سكوت، في حين هدأت مخاوف ميج قال لها جون: لا تهتمي للجلي واقذفي به من النافذة ولكن ميج عادت إلى البكاء عندما علمت أن زوجها قد دعا سكوت إلى الغداء وعاتبته لأنه لم يعلمها من قبل، وقالت إنها لم تحضر شيئا للغداء لأنها كانت مشغولة بالجلي استاء جون من هذا الوضع، فقد كان جائعا متعبا، كما وجد الفوضى ضاربة أطنابها، والمائدة فارغة وزوجته معكرة المزاج ولكنه كتم غيظه لأن الجو كان مشحونا بالتوتر وطلب من زوجته أن تساعده، رغم الفوضى التي تعم المطبخ، في تحضير بعض حواضر المنزل من جبن وخبز ولحم بارد ولكن من دون جلي فقدت ميج، المحبطة والمتعبة، صبرها عند سماعها العبارة الأخيرة وطلبت من جون أن يصطحب ضيفه ويرحل، لأنه لن يحصل على شيء عندها ودخلت غرفتها غاضبة لم تعلم ميج ماذا جرى بعد ذلك، ولكن خادمتها لوتي أخبرتها أنهما أكلا كثيرا وضحكا كثيرا،

وأن سيدها أمرها بأن تلقي خارجا بكل ما له علاقة بتحضير الجلي أرادت ميج أن تعلم والدتها بما حدث، ولكن شعورها بالخجل من جراء تقصيرها، وحبها لجون منعاها وبدلا من ذلك، تزينت لزوجها وأرادت أن تطلب منه السماح وعلى الرغم من أن جون كان غاضبا ومحرجا أمام ضيفه، إلا أنه كان ينتظر مبادرة لطيفة من ميج

كانت تجربة ذلك النهار مناسبة كي يراجع كل واحد منهما موقفه وأن يجد العذر للآخر وكان كلاهما راغبا في أن يعتذر من شريكه، ولكن كل واحد منهما تمسك بكبريائه وران بينهما صمت يبعث على الضيق وفيما دفن جون وجهه في جريدته، راحت ميج تلهي نفسها بالخياطة وسرح ذهنها وتذكرت نصائح أمها الثمينة حول طريقة معاملة زوجها كانت هذه النصائح ترن في أذنها واحدة تلو الأخرى عندئذ، تنبهت إلى موقفها وراحت تراجع نفسها وسرعان ما تغلب كل منهما على كبريائه واستسمح الآخر وقبله بود وكان خير اعتذار من جانب ميج، دعوتها لصديق زوجها السيد سكوت إلى الغداء والترحيب به بحفاوة بالغة وتدور الأيام ويعود لوري ذات يوم إلى برج الحمام، فتستقبله حتة بالزغاريد ويسأل بلهفة عن الأم الصغيرة فتطمئنه حتة إليها وسرعان ما ظهرت جو كانت تبدو هادئة ولكن عينيها كانتا تبرقان طلبت منه أن يغمض عينيه، وأغمض لوري عينيه، وتعالت ضحكات الجميع وما إن فتحهما ثانية حتى وجد بين يديه طفلين رضيعين، واستمر الجميع بالضحك وضحك لوري معهم قالت جو عندما استعادت أنفاسها: إنها مداعبة حلوة أليس كذلك؟

فأنا لم أشأ أن أخبرك لأنني أردتها أن تكون مفاجأة واعترف لوري بأنها أكبر مفاجأة في حياته ونسى كل الشرور لعلمه أن التوأمين صبي وبنت وافق الجميع، بعد المداولة، على تسمية الصبي ديميجون وتدليعه باسم ديمي، والصغيرة مارجريت وتدليعها باسم ديزي تجادلت الشقيقتان جو وإيمي حول قبول دعوة أسرة تشيستر لهما كانت جو كعادتها، عازفة عن قبول الدعوات، ولكن إيمي ألحت عليها كي تصطحبها وأمضت الأختان وقتا طويلا في اختيار الملابس والزينة المناسبة وانطلقتا أخيرا لتلبية الدعوة وفي الطريق، لم تنس إيمي أن لفتت انتباة أختها جو إلى ضرورة عدم إبداء أية ملاحظات فجة، أو ارتكاب أي تصرف غريب، فوعدتها أن تلزم الصمت وأن تكون في غاية الهدوء ومع ذلك، فقد أساءت جو التصرف مع السيدة تشيستر، التي حاولت أن تجاذبها أطراف الحديث والتزمت الصمت من دون مبرر وهذا ما أغاظ السيدة تشيستر كما أغاظ أختها إيمي، التي شعرت بالخيبة لأن أختها خذلتها وقالت لها موبخة :

كيف تفعلين ذلك بي؟ أردتك أن تتصرفي باتزان ووقار، لا أن تكوني جامدة كالحجر حاولي أن تكوني اجتماعية ومتحدثة كسائر الفتيات، واهتمي بمظهرك وحركاتك وعدت جو شقيقتها أن تغير سلوكها وأن تثرثر وتقهقه وسرعان ما غيرت في سلوكها وتحولت من الإفراط إلى التفريط وأسقط في يد إيمي مرة أخرى، وهي تجد أختها تخوض في أحاديث لا معنى لها، أو تلقي الكلام جزافا ولم تجد سبيلا إلى التخلص من هذا الإحراج،

وخصوصا عندما اختصرت أختها الزيارة بصورة مفاجئة ومقتضبة، وهذا ما جعلها تخرج من الغرفة مسرعة قالت جو بعد أن خرجتا: ألم أفعل ما يجب على أحسن ما يرام؟ وكان جواب إيمي اللاحق: لا شيء يمكن أن يكون أسوأ مما فعلت ما الذي دعاك إلى مثل هذه الأحاديث الفارغة عن أمتعتي؟

-لقد كان الأمر مسليا للجميع إنهم يعرفون أننا فقراء، فلا داعي للتظاهر بأننا نملك أشياء رائعة مثلهم لم يكن من داع كي تكشفي لهم فقرنا بدت جو مرتبكة وقالت :كيف تريديني أن أتصرف؟فقالت إيمي باقتضاب: تصرفي على سجيتك لقد يئست منك كان المكان يعج بالفتيان وعزمت جو على أن تستمتع بوقتها معهم أما إيمي فقد توجهت إلى السيد تيودور، الذي تكن لأسرته احتراما كبيرا ولكن حديثها الممتع مع ذلك الشاب النبيل، لم يثنها عن البحث عن أختها جو كانت جو جالسة على العشب وسط ثلة من الفتيان تتحدث عن واحدة من مهازل لوري، غير آبهة باتساخ ملابسها قالت لها إيمي وهي تتجنب إبداء ملاحظة تتعلق بثوبها ومظهرها **:**لماذا تتجنبين السيد تيودور دوما؟ أنا لا أحب معشره إنه يتحدث عن أهله من دون احترام ينبغي أن تعامليه بطريقة مهذبة على الأقل، سيكون من اللائق أن تغيري سلوكك نحوه فرفضت جو وامتعضت إيمي منها مجددا واتجهت الفتاتان بعد ذلك إلى زيارة عمتهما السيدة مارش بعد ممانعة من جو كانت العمة مارش منهمكة في حديث مع العمة كارول عندما دخلت الفتاتان وسرعان ما استطاعت إيمي بذكائها وحسن تصرفها أن تكسب ودهما، وتشاركهما في أحاديثهما وهذا ما جعل السيدة مارش

تثني على إيمي وتبدي إعجابها بها وبزيارتها لأسرة تشيستر في حين لم ترق ملاحظات جو للعمة مارش والسيدة كارول اللتين راحتا تتبادلان نظرات تنم عن استهجان لتصرفات جو، وطريقتها في الحديث عن الآخرين أو عن نفسها، خلافا لشقيقتها إيمي التي كانت تتصف بكثير من اللباقة والكياسة وهذا ما ترك أجمل انطباع لدى العمة كارول التي صممت على أن تساعد إيمي على تحقيق أمنيتها في السفر إلى روما ذات يوم

كانت الدعوة إلى معرض السيدة تشيستر بمثابة تكريم و تشريف لكل من يدعى إليه وكانت كل سيدة في الجوار، تهتم لحضوره وقد وجهت الدعوة إلى إيمي، في حين لم تدع جو لحضور المعرض وكان كل شيء يسير على ما يرام قبل يوم واحد من الافتتاح، لولا حدوث أحد أهم المنغصات التي لا يمكن تجنبها عند التحضير لعمل جماعي كهذا كانت ماي تشيستر تشعر بالغيرة، لأن إيمي كانت مفضلة عليها فالعمل الفني الذي قدمته إيمي، كان أفضل مما قدمت ماي، و تيودور الذي كان محط الأنظار، رقص أربع مرات مع إيمي في حين لم يرقص إلا مرة واحدة مع ماي هذا بالإضافة إلى تسرب شائعة تقول إن ابنتي أسرة مارش تسخران منها وتضافرت هذه العوامل لتدفع بالسيدة تشيستر إلى أن تسحب طاولة عرض رئيسية من إيمي، كانت أمضت وقتا طويلا في ترتيبها على أحسن وجه، وتعطيها إلى بناتها حينها، شعرت إيمي بأن وراء الأكمة ما وراءها، وقالت معبرة عن استيائها للسيدة تشيستر: لعلك تفضلين ألا آخذ أية طاولة؟

قبلت إيمي عرض السيدة تشيستر على مضض، بالانتقال إلى منصة أخرى، دون أن تأبه إلى تذرعها بأسباب واهية، أو إلى ملاحظات ماي التي حاولت أن تلطف من الموقف وشعرت الأخيرة بالاكتئاب و الندم، وتمنت لو أنها لم تدفع أمها إلى هذا التغيير وكذلك شعرت السيدة تشيستر بالندم

كان الوقت ضيقا على إيمي كي تعاود تحضير منصتها من جديد، فضلا عن انشغال كل من حولها بما يخصه وشعرت أن كل شيء يسير في اتجاه معاكس لرغبتها ولكنها صممت على أن تصمد وتثبت جدارتها، بدلا من أن تستسلم للغضب، ووافقتها أمها على موقفها هذا وشجعتها وعليه

وفي اليوم التالي شعرت ماي تشيستر بأنها لا تستطيع أن تعرض المشغولات الجميلة التي وضعتها إيمي على المنصة التي كانت لها واقترحت إحدى رفيقاتها اللواتي كن إلى جانبها، أن تعيد إيمي معروضاتها إلى المنصة سمعت إيمي كلامهما وهما تتهامسان، ووافقت فورا على فكرة إعادة معروضاتها، وقامت بذلك بالفعل وهذا ما أثار إعجاب بعض رفيقات ماي استعادت إيمي روحها المعنوية، كما استعادت منها جمالها وحسن ترتيبها، بما أضفت عليها يداها الماهرتان من رونق، وكان نهارا طويلا وشاقا بالنسبة إليها إذ جلست وحيدة خلف منصتها كانت منصة إيمي الفنية، المنصة الأكثر جاذبية في قاعة المعرض، وكان المدعوون يتحلقون حولها طوال النهار وعندما عادت إلى البيت في ساعة متأخرة من الليل، كان الإعياء باديا على وجهها الشاحب من عناء يوم طويل تمنت إيمي في اليوم التالي أن تعزز منصتها بمزيد من الأزهار،

كي تصبح أكثر جاذبية ولفتا للأنظار وقام لوري وأصدقاؤه بمساعدتها على جلب الأزهار الجميلة وترتيبها، وأشاعوا جوا من الحيوية حول المنصة وكان العرض بمثابة نجاح عظيم لها إذ نجحت في بيع كل ما كان على منصتها من أزهار وبعد أسبوع، تلقت السيدة مارش رسالة من العمة كارول أدخلت السرور إلى قلبها ولما ألحت عليها ابنتاها جو وبيث كي تطلعهما على مضمون الرسالة، قالت السيدة مارش إن العمة كارول تريد أن تسافر الشهر المقبل، وهي تريد من إيمي أن ترافقها قالت جو معترضة، وقد فوجئت بالاختيار: أوه، ماما إن إيمي لا تزال صغيرة جدا إنه دوري أولا فأنا أتطلع إلى ذلك منذ وقت طويل، وهي رحلة ستفيدني كثيرا، فلا بد من أن أذهب قالت الأم: هذا مستحيل يا جو إن عمتك اختارت إيمي تحديدا ولسنا نحن من نقرر عندما تقدم لنا عمتك مثل هذا المعروف بكت جو بحرقة قائلة: هذا ظلم هذا ظلم هكذا إيمي تحظى دائما بكل المسرة، وأنا أقوم بكل العمل قالت الأم أخشى أن يكون هذا الاختيار من نتائج عملك أنت لقد شكت لي عمك بعد زيارتك الأخيرة لها مع إيمي، من سلوكك الفظ وهي تقول هنا في رسالتها إنها كانت تخطط لاختيارك أنت، ولكن عباراتك الجافة جعلتها تحجم عن ذلك وهي هنا تثني على طباع إيمي اللينة ولهفتها على مساعدة الآخرين قالت جو، وهي تتذكر ما قالت لعمتها آنذاك، نادمة: ويحك يا لساني البغيض لماذا لا أتعلم كيف أبقيك صامتا؟ قالت الأم بأسف: كنت أود أن تذهبي، ولكن لا أمل في ذلك الآن، لهذا لا تفسدي سعادة إيمي بالندم والتأنيب طمأنت جو أمها،

وهي تشعر بغصة مؤلمة، أنها لن تفسد على أختها سعادتها، وأنها ستبذل ما في وسعها كي تبدو سعيدة لسعادتها قالت إيمي مستبشرة بهذا السفرا السعيد :هذه ليست مجرد رحلة للمتعة يا عزيزاتي فهي ستقرر مستقبل عملي، إذ لو كان لدي أية موهبة، فسأجدها في روما وسأحاول أن أثبتها

أسرت السيدة مارش إلى ابنتها جو بقلقها بشأن بيث: ثمة شيء ما يشغل بالها، فهي تجلس وحيدة فترة طويلة من دون أن تكلم والدها كما تعودت أن تفعل أغانيها حزينة، ونظرة عينيها تدل على شيء غامض لا أعرف كنهه

قالت جو: إنها تكبر، ولهذا فهي تحلم لديها آمال ومخاوف لا تعرف سر تفسيرها إن بيث في الثامنة عشرة من عمرها، ومع هذا فنحن لا نزال نعاملها كطفلة أخذت جو تتابع بيث باهتمام، فيما هي تحاول أن تبدو مستغرقة في شؤونها الخارجية واستطاعت أخيرا أن تصل إلى ما يكشف عن سر تبدلها كانت تحب الانهماك في الكتابة عند النافذة بعد ظهر يوم السبت، وفي نفس الوقت، كانت عينا جو عليها تراقبها فلاحظت أن أحدهم مر فجأة من جانب المنزل وهو يصفر وقال: كل شيء على ما يرام تعالي الليلة ابتسمت بيث وهزت برأسها، وتابعت الشاب بنظرها حتى غادر المكان تابعت جو بنظرها وجه بيث باهتمام ولاحظت كيف انخطف لونها بسرعة وزالت ابتسامتها كانت هناك دمعة حائرة في عينيها تحاول أن تخفيها صدمت جو بهول ما اكتشفت:

إن بيث تحب لوري وراحت أفكار كثيرة تعصف بها، ولكنها عزمت في نفسها على أمر تفعله كان سلوك لوري مع بيث رقيقا بشكل خاص وبما أنه كان لطيفا مع الجميع، لم يتخيل أحد أنه يهتم ببيث أكثر من غيرها بل إن الانطباع السائد عند الأسرة، هو أن لوري مغرم بجو أكثر من أية واحدة أخرى وأخذت جو تسترجع في ذاكرتها تصرفات لوري معها، وبدأت تكتشف أنه كان يتغير نحوها تدريجيا، وكذلك كان سلوكه يتغير وذات ليلة، عزمت جو على مراقبة سلوك لوري وبيث عن كثب ولاحظت أنهما يتبادلان النظرات الحانية وتساءلت بينها وبين نفسها: لعلها تستطيع أن تسعده ويستطيع هو أن يسعدها وعزمت على أن تبتعد، ولكن إلى أين تذهب؟ وجلست على أريكتها المفضلة تفكر في الأمر وما كادت جو تضع رأسها على الوسادة، حتى سمعت صوت نحيب بيث كانت بيث تتألم وكانت حرارتها مرتفعة، ثم صارت تتفوه بعبارات يائسة تشير إلى مرض لاشفاء منه بعدها تلاشى صوتها فجأة وأرادت أن تستنجد بوالدتها، ولكن بيث منعتها وطلبت إليها أن تجلس إلى جانبها وتمد لها جبينها وشعرت جو أن ثمة أمرا يثقل صدر أختها، فطلبت منها أن تفصح عن مكنون صدرها حتى ترتاح فقالت لها بيث: ليس الآن لم يحن الأوان بعد ولكنها وعدتها بأن تعلمها في الوقت المناسب ونامت الشقيقتان جنبا إلى جنب وفي الصباح، عزمت جو على السفر، وصارحت والدتها برغبتها هذه متذرعة بحاجتها إلى التغيير والتجديد

وقالت إنها ترغب في السفر إلى نيويورك حيث تستطيع القيام بما طلبته منها السيدة كيرك، وهو تدريس أولادها كانت الأم قلقة بشأن غياب ابنتها عن البيت والعمل بعيدا عنهم، ولكن جو طمأنتها، وأكدت لها أن السفر سيفتح لها آفاقا جديدة للكتابة وعندما ألحت والدتها لمعرفة الأسباب الخفية لقرارها، زعمت جو أن لوري يتقرب كثيرا منها وهي لا تريد أن تتعلق به في الوقت الحاضر فهي تفضل أن يكونا صديقين

اقتنعت الأم بغياب ابنتها بعض الوقت، إذ ربما كان هذا أفضل لها وللوري وطلبت جو من أمها أن يبقى هذا الأمر سرا بينهما لا يعلم به لوري كما أن بيث يجب أن تعتقد أنني مسافرة للمتعة، فأنا لا أستطيع أن أتحدث عن لوري أمامها، وبوسع بيث أن تواسيه بعد أن أسافر وتشفيه من أفكاره الرومانسية

وافقت السيدة كيرك على استقبال جو، ووعدت بإعداد مكان مناسب لراحتها وكانت جو تتطلع بشغف إلى آفاق العمل الجديد وتتوق إلى الالتحاق به في أقرب وقت وعندما اكتملت الاستعدادات، أخبرت لوري بشيء من الخوف عن نيتها، ولكن لوري، رغم دهشته، استقبل النبأ بهدوء حينها، شعرت بارتياح، وراحت تكمل استعداداتها بقلب مطمئن وقبل أن تسافر، أوصت أختها بيث بشيء واحد، وهو أن تعتني بفتاها، أي بلوري فأجابتها بيث: سأعتني به بالطبع ، ولكنني لا أستطيع أن أملأ مكانك، ولسوف يفتقدك كثيرا قالت جو: لن يضيره ذلك تذكري فقط أنني تركته في عهدتك ووعدت بيث أختها بأن تفعل كل ما في وسعها، ولكنها كانت مندهشة من نظرات جو الغريبة إليها وأخيرا ودعها لوري قائلا إن عواطفه معها، وكانت كلمات لوري الحنون آخر كلمات الوداع

في شهر أكتوبر، كتبت جو أول رسالة لها من نيويورك، إلى والدتها وبيث، تقول فيها إن لديها أخبارا كثيرة، وإن السيدة كيرك رحبت بها كثيرا، وهي تشعر وكأنها في بيتها وراحت تتحدث في رسالتها بابتهاج عن تفاصيل حياتها الجديدة، وعملها، وإقامتها

وتحت عنوان ليلة الثلاثاء، كتبت جو تخبرهما عن رجل ألماني تعرفت إليه في المدرسة يدعى الأستاذ باير، وراحت تصفه لهما وصفا دقيقا وقالت إنها رغم سوء هندامه وعدم وسامته، إلا أنها أعجبت به وتحت عنوان ليلة الخميس، قالت إنها أمضت ذلك اليوم بهدوء في الخياطة والكتابة والتدريس في غرفتها الصغيرة، وروت لأمها وأختها كيف تعرفت مصادفة إلى السيد باير وتحدثت إليه وسألت جو في هذه الرسالة عن تيدي وقالت: أتراه مشغولا إلى هذا الحد بالدراسة، بحيث لا يجد وقتا للكتابة إلى أصدقائه؟وعادت جو فكتبت في شهر ديسمبر رسالة خاصة إلى بيث، تخبرها فيها عن توطد علاقتها بالبروفسور باير، وكيف بدأت تتعلم الألمانية على يديه وقالت إنها تطوعت لترتيب غرفته التي كانت تعمها الفوضى، ولقضاء بعض حوائجه الضرورية، وإنها سعيدة في تقدمها باللغة الألمانية، وبسعة صدر البروفسور باير في تعليمها

وفي شهر يناير، بعثت جو برسالة إلى أسرتها تتمنى لهم فيها عاما سعيدا، وتشكرهم على ما أرسلوه لها من هدايا وشكرت والدها بشكل خاص على الكتب التي أرسلها لها وبمناسبة الحديث عن الكتب، توقفت جو مطولاً أمام هدية الأستاذ باير، إذ أهداها كتابا لشكسبير بمناسبة عيد رأس السنة وكانت سعيدة جدا بهذه الهدية التي اعتبرتها باكورة تأسيس مكتبة خاصة بها وكالعادة في رسائلها الأخيرة، كان الأستاذ باير محور حديثها واهتمامها كما كانت رسالة جو تنطق بالحبور والسرور، والعزم على متابعة العمل بهمة ونشاط

كانت جو، رغم انهماكها في الجو الاجتماعي الذي أحبته، والعمل الذي تكسب منه عيشها، تجد وقتا للكتابة وكانت ترى أن المال يمنح القوة، لذلك، عزمت على أن تحصل عليهما معا، لا من أجل ذاتها فحسب، بل من أجل من كانت تحبهم أكثر من نفسها، وكي تسبغ عليهم كل ما تستطيع من وسائل الراحة

اختارت جو كتابة القصص العاطفية وذات يوم حملت قصة مثيرة إلى ناشر يدعى داشوود يعمل رئيسا لتحرير صحيفة فولكانو الأسبوعية وحرصت على أن تدخل إليه وهي في أفضل لباس، وأن تبدو هادئة ومتمالكه أعصابها

قالت جو، وهي تقدم مخطوطا إلى رئيس التحرير طالبة إليه أن يقرأه، إن صديقة لها طلبت إليها أن تعرض لها هذه القصة للنشر ولم تنس جو بالطبع أن تخبره أن الكاتبة حصلت على جائزة للقصة من قبل فطلب إليها الناشر أن تترك القصة عنده لمدة أسبوع، وأن تراجعه بعد ذلك

كان لقاء جو الثاني مع الناشر أكثر راحة لأعصابها من اللقاء الأول وسرها أن يعلمها بأن قصتها مقبولة ولكنها تحتاج إلى بعض التعديل، وأن حذف بعض المقاطع يجعلها مناسبة تماما لم تستطع جو أن تعرف مخطوطها من كثرة التشطيب والحذف، ودهشت لأن الانعكاسات الأخلاقية للقصة قد حذفت وعندما استفسرت عن ذلك من الناشر قال لها مبتسما: إن الناس يتطلعون إلى التسلية لا إلى الوعظ، فالأخلاق لم تعد تلقى رواجا هذه الأيام

رضخت جو إلى رغبة الناشر، عندما علمت أن القصة ستجد طريقها إلى النشر إذا ما عدلت، وأن المكافأة مجزية وقالت له بفرح خفي: هل أخبر صديقتي بأنكم ستنشرون قصتها إذا ما قدمت واحدة أفضل فوعدها الناشر بأنها ستكون موضع اهتمام، وطلب منها أن تنصح رفيقتها، التي تصر على عدم ذكر اسمها، بكتابة قصة قصيرة ومثيرة، وألا تلتفت كثيرا إلى الجانب الأخلاقي وسرعان ما اقتحمت جو الأدب العاطفي، متبعة توجيهات الناشر داشوود وراحت تعاين كل ما حولها من شخصيات وموضوعات ومشاهد واستمرأت هذا العمل، وكانت فكرة اصطحاب بيث إلى الجبال تلح عليها مع الوقت

ولم يعكر مزاجها سوى فكرة أنها أخفت عن أمها وأبيها الطريق الذي سلكته ثم ما لبثت جو أن شعرت بأن تجربتها الساذجة في عالم الأدب، تحتاج إلى صقل، ما دفعها إلى العمل بنشاط لاستدراك ما ينقصها وكذلك دفعها تعطشها وحاجتها إلى مادة تقوي إنتاجها، إلى البحث في الصحف عن أخبار الحوادث والوقائع والجرائم، كما كانت تحاول قراءة وجوه كل من حولها ومع محاولتها إسباغ الكمال على شخصيات أبطالها الخياليين، اكتشفت أن البطل، مع كل ما فيه من نواقص، يعيش صميم الحياة، وهو ما يثير اهتمامها ونصحها الأستاذ باير بأن تهتم بالشخصيات البسيطة والواقعية والجذابة وهذا ما دعاها إلى أن تدرس شخصيته بالذات، إذ بدت لها أشبه باللغز فقد كان موضع محبة الجميع، رغم أنه لم يكن غنيا ولا وسيما ولم تكن شخصيته ساحرة، وإنما كانت جذابة إلى درجة أن يتحلق الناس حولها كما يتحلق الفراش حول النار المتوهجة وكانت جو، وهي تراقبه، تحاول استكناه سر هذه الشخصية

ومع المتابعة الطويلة، اكتشفت جو أن السر يكمن في نواياه الصادقة والطيبة إزاء من حوله، فضلا عن ذكائه، وهذا ما جعلها تزداد احتراما له وعلمت أيضا من إحدى زميلاتها أن السيد باير، وإن كان مجرد مدرس لغة بائس في أميركا، إلا أنه كان أستاذا ذا مكانة رفيعة في برلين

وازدادت جو إعجابا بالبروفسور باير، عندما أتيحت لها فرصة لحضور ندوة مختارة، شارك فيها عدد من علية القوم وكبار المثقفين وبهرت بما دار من مناقشة حول الدين وفلسفة الحياة، وبأسماء مفكرين من أمثال كانت وهيجل، إذ لم تكن تعلم عن هذه الشخصيات شيئا وفي تلك الندوة، انبرى باير مدافعا بحماسة عن الدين ووجود الله أعجبت جو بحماسته وروعة منطقه، وبدأت تقتنع منذ ذلك الحين، بأن امتلاك الشخصية القوية الحرة المؤمنة الواثقة من نفسها، أفضل من امتلاك المال، أو المرتبة الاجتماعية العالية، أو الجمال، وأن السيد فريدريك باير ليس إنسانا عاديا، بل هو إنسان عظيم

تعززت هذه القناعة مع الأيام وكانت جو تقدر مكانته، وتحرص على احترامه، وعلى أن تكون جديرة بصداقته واكتشفت مصادفة أنه كان يعرف بكتابتها في صحيفة فولكانو ، ولكنه لم يصارحها بذلك منتظرا أن تصارحه هي أولا، وعندما انكشف الأمر، أخبرها بأنه لا يجد مستوى تلك الصحيفة لائقا، فضلا عن أن كل ما تنشره هو تفاهات ودافعت جو عن قصص الإثارة قائلة إن هناك كثيرا من الأشخاص المحترمين يكسبون عيشهم من كتابة مثل هذه القصص فأجابها باير بشيء من العصبية: إن هؤلاء المحترمين بدون الم في الدسم، وهم يكسبون مالا حراما، ومن الأفضل لهم أن يكنسوا الشوارع طلبا للمال فذلك أشرف لهم شعرت جو بصدمة، ولكنها حاولت أن تعزي نفسها بأن ما تكتبه قد يكون سخيفا ولكنه ليس سيئا

وما إن صعدت إلى غرفتها حتى راحت تعيد قراءة كل قصة من قصصها وسرعان ما شعرت بالاكتئاب بعد أن تجشمت الأخطاء في عينيها، واقتنعت بتفاهة ما كتبت، وقالت في نفسها: ماذا أفعل إذا ما عرفت بها أسرتي أو اطلع عليها السيد؟ وفجأة، لمعت في ذهنها فكرة، فحملت جميع أوراقها وألقت بها في المدفأة وأحرقتها وأقلعت عن كتابة قصص الإثارة، وأرادت أن تتحول إلى فن آخر من فنون الكتابة، كالقصص ذات الطابع الأخلاقي أو قصص الأطفال، ولكنها لم تجد قارئا لها وفيما كانت تتفاعل في داخلها عوامل ثورة خفية، كانت حياتها الخارجية تسير كالمعتاد ولم تعد تتحدث في هذا الموضوع مع البروفسور الذي كان يعرف أنها توقفت عن الكتابة وكان يحاول مساعدتها بشتى الوسائل مبرهنا على أنه صديق حقيقي ولم تكن جو حقيقة تعيسة، فمقابل كسلها في الكتابة، كانت تكتسب أشياء كثيرة إلى جانب اللغة الألمانية، وتضع الأساس لقصة مثيرة خاصة بها

وجاء يوليو وحان الوقت كي تودع جو من حولها وتعود إلى البيت كان الجميع آسفين على فراقها، وعلى وجه الخصوص السيد باير، ولكن جو ألحت عليه وهي تودعه بالمجيء لزيارة أسرتها والتعرف بها وبصديقها المفضل لوري أحس السيد باير بغصة وهو يسمعها تتحدث عن لوري بحماس، وخشي أن يكون أكثر من مجرد صديق مفضل ولكنه أخفي مشاعره وقال إنه يخشى ألا يتمكن من المجيء، متمنيا لصديقها النجاح ولها السعادة وغادر الغرفة بعد أن صافحها بحرارة وفي الصباح الباكر من اليوم التالي، هرع باير إلى المحطة ليكون في وداع جو فسعدت بلقائه في المحطة وهو يحمل لها باقة من أزهار البنفسج، وقالت له قبل أن ترحل: لقد انصرم الشتاء،

ولم أكتب، ولم أكتسب مالا، ولكنني اكتسبت صديقا جديرا بالصداقة وسوف أحافظ عليه مدى العمر كان الجميع حاضرين حفلة تخرج لوري بدرجة الشرف :الجد لورنس الذي كان فخورا بحفيده، والسيد والسيدة مارش وجون وميج وجو وبيث وبعد تناول العشاء، ودع لوري جو وشقيقاتها متوقعا أن يقابل جو في اليوم التالي، وكانت قد وعدته بالمجيء كان القلق باديا عليهما في بداية اللقاء وشعرت جو أن لوري يريد أن يبوح لها بشيء يثقل عليه وحتى تساعده على الكلام قالت له إنها مستعدة لسماع ما يريد الإفصاح عنه وهكذا صارحها لوري بحبه وقال لها إنه أحبها منذ عرفها، وإنه أراد أن يبوح لها بسره ولكنها لم تتح له فرصة لذلك وقال إنه يريد أن يعرف جوابها لأنه لم يعد بوسعه الانتظار وكان جوابها أنها معجبة به وأنه فعل الكثير ليرضيها واعترفت له بأنها حاولت أن تحبه، لكنها لا تعرف لماذا لم تستطع ذلك فهي لا تملك أن تغير مشاعرها، ولايمكن أن تكذب عليه أصيب لوري بصدمة وخيبة أمل شديدة وشعرت جو بالأسى والرثاء لحاله وأبدت أسفها الشديد ولكنها لا تستطيع أن ترغم نفسها على شيء لا تقدر عليه وراحت تربت على كتفه برقة والأسى يعتصرها وران بينهما الصمت كان الموقف عصيبا حاولت جو أن تقطع هذا الصمت وهمت بالكلام، ولكن لوري رفض أن يسمع شيئا عن باير معتقدا أنها تحبه وهنا أكدت له أن باير إنسان جيد وطيب وأنه مجرد صديق، ولا شيء غير ذلك وحاولت جو أن تخفف من لوعة لوري الذي جثا على ركبتيه أمامها، كما حاولت أن تهدئ من روعه وقالت له بهدوء إن أحدهما لا يناسب الآخر،

فكلاهما حاد الطباع، وسيكون من الحماقة أن يرتبطا بالزواج، وطلبت إليه أن يكونا صديقين فحسب ولم تفلح توسلات لوري في تغيير موقفها، وتمنت له الفتاة المناسبة التي تكون أهلا له هنا، فقد أعصابه وتفوه بكلمات أزعجتها ودفعتها إلى صده، وتحول الموقف بينهما إلى ما يشبه المشاحنة

قال لها لوري: ستندمين ذات يوم يا جو وابتعد عنها متأثرا بما جرى شعرت جو لبرهة بأن قلبها يكاد يتوقف خوفا من أن يفعل لوري شيئا بنفسه، وعادت أدراجها إلى البيت وهي تفكر في ما يمكن أن تقوله للسيد لورنس كي يعالج الموقف وعندما وصلت، صارحته بكل ما حدث وراحت تجهش بالبكاء عاد لوري إلى المنزل متعبا، فوجد الجد الذي تظاهر عند رؤيته بأنه لا يعرف شيئا أما لوري، فقد توجه إلى البيانو وراح يعزف السوناتا الحزينة كما لم يعزفها من قبل وأخيرا صارح الجد حفيده، مربتا على كتفه بحنان، بأنه عرف كل شيء من جو كان الموقف صعبا يدعو إلى التروي والتفكير وبعد لحظات قليلة، نصحه جده أن يغادر البلاد لفترة من الوقت ناشدا للسلوى كما اقترح عليه أن يسافرا معا إلى حيث يوجد لديه بعض الأعمال التجارية التي تحتاج إلى متابعة، مؤكدا أنه لن يثقل عليه بحيث يستطيع أن يذهب إلى حيث يشاء

رضخ لوري إلى رغبة جده، وجاءت لحظة الفراق ودع لوري جميع أفراد أسرة مارش، بمن فيهم جو كان الوداع قصيرا ومقتضبا غادر بعدها وابتعد ولم ينظر إلى الخلف، وهنا أدركت جو أن الفتى لن يعود أبدا عندما عادت جو إلى البيت، فوجئت بالتبدل الذي طرأ على بيث كان من النوع الذي لا يحس به إلا من يغيب عنها طويلا إذ كانت هناك نظرة شفافة غريبة في عينيها واعتقدت جو بأن رحيل لوري أعاد إلى أختها ذلك القلق الغامض، فاقترحت عليها أن تقوما برحلة إلى الشاطئ للترفيه عن النفس، فوافقت بيث على اقتراحها كان هناك سر ما يعتمل في نفس بيث ويثقل على صدرها وتريد أن تبوح به إلى جو وذات يوم، اقتربت بيث من أختها وهي مضطجعة، وقالت: عزيزتي جو، أنا سعيدة لأنك تعرفين حاولت أن أخبرك فلم أستطع وتابعت وكأنها تريد أن تواسي شقيقتها:عرفت ذلك منذ زمن لقد اعتدت ذلك المرض الآن، ولم يعد من الصعب أن أتحمله انتاب جو شعور بالسعادة لأن قلق أختها وتبدلها لا علاقة للوري به وسألتها: أهذا كل ما يقلقك؟قالت بيث: نعم، كنت أراك قوة ومفعمة بالسعادة، وأشعر بأنني لا أستطيع أن أكون مثلك -ولماذا لم تخبريني بذلك يا بيث؟ وكيف تحملت العناء وحدك؟ كيف تحملت هذا الشعور بالوحدة؟ كانت أمي مشغولة بميج، وإيمي بعيدة، وحسبت أنك سعيدة مع لوري، فلم أرد إزعاجك وأنا كنت أظن أنك تحبينه يا بيث، وهذا ما حملني على الابتعاد

نظرت بيث بدهشة إلى جو التي ابتسمت، رغم ألمها، وقالت :إذا، فأنت لم تفكري في ذلك يا عزيزتي؟ - كيف يسعني أن أحبه يا جو وهو مغرم بك؟ إني أحبه فعلا، لأنه كان طيبا معي دوما، ولكنه لم يكن أكثر من أخ بالنسبة إلي وهنا طلبت جو من شقيقتها أن تقاوم الضعف وتتغلب على المرض، وطمأنتها بأنها ستفعل كل ما في وسعها كي تقف إلى جانبها، وراحت تبكي بحرقة، وتعانقت الأختان بحرارة كان انفرادهما فترة من الوقت مناسبة جيدة كي تصارح كل واحدة منهما الأخرى بما يجول في خاطرها، وكي تشد جو من أزر أختها وتبعدها عن الشعور بالضعف والوحدة كانت الساعة الثالثة بعد الظهر، وكان مشهد مدينة نيس رائعا في ذلك اليوم المشمس، في الكورنيش كان يحفل بكل مظاهر البذخ والبهجة والموضة والأشجار الوارفة والأزهار النضرة كما كانت نيس ملتقى الناس من كل أمة ولسان وفي يوم عيد الميلاد، كان لقاء إيمي مع لوري في نيس صاحت إيمي: أوه لوري أهذا أنت حقا؟ كنت أظن أنك لن تأتي فقال لوري: لقد تأخرت ولكني وعدتك أن أمضي يوم الميلاد معك، وها أنذا وجرى بينهما حديث طويل بدا لوري أكثر وسامة، ولكنه كان متعبا قانطا، ولم تعرف إيمي السبب كانت تريد أن تعرف كل شيء عن حياة لوري الجديدة، ولاحظت أن ثمة تغيرا طرأ على سلوكه وشخصيته، ولكنها لم تعرف ما كان سبب هذا التغير كان لدى كل منهما الكثير من الأسئلة والكثير من الأمور التي يود الواحد منهما أن يتحدث عنها إلى الآخر

وركبا معا وتحدثا طويلا وتركها لوري آملأ اللقاء ليلا ليسهرا سهرة الميلاد تزينت إيمي في تلك الليلة بأجمل زينة، واعتنت باختيار لباسها وحليها، وبدت في غاية المرح والرشاقة وهي تختال في قاعة الفندق بانتظار لوري ولمحها لوري عن بعد وهي واقفة أمام نافذة بعيدة، فبدت له في وقفتها كإحدى معبودات الرومان اقترب منها وحياها بإعجاب، فردت له التحية وهي تبتسم لفتت إيمي الأنظار في تلك الليلة وهي تستند إلى ذراع لوري وكانت مستبشرة ترغب في الرقص وفي الاستمتاع بوقتها وعندما عزفت الموسيقى المقطوعة الأولى تحركت أطرافها تعبيرا عن رغبة في الرقص، فتقدم منها لوري ليراقصها قالت له إيمي: أستطيع أن أمنحك رقصة بعدما أرقص مع الكونت وراحت تراقص الكونت غير عابئة بلوري وكأنها تريد أن تلقنه درسا

نجحت خطة إيمي في إثارة مشاعر لوري فراح يجاملها بعدما انتهت من رقصتها وكان سعيدا بتلبية طلباتها وسألها بنظرة معجبة: أين تعلمت كل هذه الأشياء؟ وراح يشير إلى أسلوبها في التصرف وهندامها وطريقة تعاملها فقالت متجاهلة قصده: حياة الغربة مدرسة للإنسان إنني أدرس بمقدار ما ألهو أما عن لباسي فهو بسيط، وقد اعتدت أن أصنع معظم أشيائي بنفسي ازدادت إيمي مكانة في نفس لوري واحتراما وأسعدها أن تجد لوري يكرس وقته لها طوال السهرة بعد ذلك اللقاء، خرج كلاهما بانطباعات جديدة عن الآخر ذهب لوري إلى نيس وهو ينوي أن يقيم أسبوعا، ولكنه أقام شهرا لقد أنساه وجود إيمي الشعور بالغربة كان كلاهما يرتاح للقاء الآخر، وكانا يمضيان معظم الوقت معا في المشي أو ركوب الخيل أو الرقص وفي غضون ذلك، كان كل منهما يزداد اكتشافا للآخر وتقربا منه

قالت إيمي للوري: أنا ذاهبة إلى فالروزا كي أرسم، فهل تذهب معي؟ سآخذ العربة الصغيرة، ويتولى بابتيست قيادتها وعبر لوري عن سروره لمرافقتها وركبا العربة وانطلقا كانت فالروزا مدينة خلابة بطقسها الصيفي الدائم، وورودها المنتشرة في كل مكان، وجدرانها البيضاء

قالت إيمي وهي تقف عند شرفة المنزل الذي توجها إليه: إنها فردوس شهر العسل أليست كذلك؟ هل شاهدت في حياتك مثل هذه الورود؟ فاندفع لوري يقطف لها بعض الأزهار اضطجع لوري على الأرض ليتشمس وكانت إيمي تتأمل ملامحه وتستشف نظرة فيها معاني المرارة والألم والسخط والندم فقالت له: لقد تغيرت ولم تكمل أحس لوري بقلقها الودي نحوه وقال لها :أنا على ما يرام يا سيدتي قالت إيمي بلهجة ودية: لا تمكث في الشمس تعال واستلق على العشب هنا أطاعها لوري وقال وهو يرمي بنفسه على العشب: ماذا عندك من الأسرار؟ قالت له: ليس عندي ما أقوله، ابدأ أنت سألها لوري متى تبدأ عملها الفني فأجابته بحزم إنها لن تعمل في ميدان الفن بعد اليوم، فقد انتزعت منها روما كل غرورها لقد تخلت عن آمالها الحمقاء بعد أن رأت الروائع وتساءل لوري بدهشة: لماذا وأنت لديك الطاقة والموهبة؟ أجابت إيمي: الموهبة لا تعني العبقرية ولا تستطيع أي قدرة أن تأتي بها أنا أريد أن

أكون فنانة عظيمة أو لا أكون وماذا تنوين أن تفعلي الآن؟

أصقل مواهبي الأخرى، وأريد أن أكون مفخرة في المجتمع إذا أتيحت لي الفرصة سألها لوري محاولا أن يسبر غورها :ألهذا السبب يأتي فرد فون إلى هنا؟ وهنا لاذت إيمي بالصمت وتابع لوري سؤاله عن طبيعة علاقتها بفرد، وعن صحة ما تردد من شائعات حول علاقتهما، وهل كانت لتقبل به إذا ما تقدم لخطبتها فأجابته بأن هذا ممكن ودافعت عنه حين وصفه لوري بالرجل غير المناسب لها، وقالت له إنه غني ونبيل وطباعه مريحة

شعرت إيمي بأن لوري قد اغتاظ من حديثها، ولكنها عزمت على متابعة الحديث معه بطريقة استفزازية، وقالت له إنها وصديقتها يصفانه بلورنس الكسول وتابعت قائلة: إنني أكره ما تفعل انتفض لوري وسألها: أنا كسول لماذا؟ لأنك مع كل فرصة تتاح لك كي تكون جيدا ومفيدا وسعيدا، أراك عكس ذلك، وأنت تضيع وقتك عبثا بأشياء تافهة، وتهتم بسفاسف الأمور وتابعت بلهجة هي أقرب إلى التقريع : ومع ما أوتيت من مال وموهبة ومركز وصحة ووسامة، فإنك تضيع وقتك سدى، بدلا من أن تكون الرجل الذي ينبغي أن تكونه لم يأخذ لوري ما قالته إيمي على محمل الجد وشعر بما تعانيه من مرارة

وبصدق ما تقول، فاقترب منها، ووعدها بأنه سيكون عند حسن ظنها

شعرت إيمي أنها اشتطت قليلا في تقريعها لوري، وحاولت أن تخفف من لهجتها، وربما سرها ضمنا ألا تجد في يديه أي خاتم سوى الخاتم البسيط الذي كانت أختها جو قد أهدته له وقالت له كأنما تحاول أن تراضيه: أعرف يا لوري أنك لو لم تكن أرق رجل في العالم لما تحملت كلامي، فنحن فخورون بك أبدا

تطرق الحديث بينهما إلى جو وأثار هذا الحديث شجون لوري وآلامه، فقال لإيمي بلهجة مرة :هل تعتقدين أن جو يمكن أن تزورني كما تفعلين أنت الآن؟ فقالت له: أجل، إذا رأتك على هذه الحال إنها تكره الكسالى، فلماذا لا تقوم بشيء رائع يجعلها تحبك؟قال لوري وهو يضع رأسه بين يديه: قولي ما تشائين إن كنت قد فشلت فلأن جو لم تبادلني الحب أنت لم تفشل باستطاعتك أن تفعل شيئا إذا حاولت حاول وسترى ولا تدع حبك يفسد حياتك ران الصمت بينهما لبضع دقائق وحانت من لوري التفاتة ليرى أن إيمي كانت ترسمه فقال لها ساخرا أهذه صورتي؟ فأجابته: إنها صورتك كما أنت الآن وتناولت صورة قديمة كانت قد رسمتها له عند بداية تعرف الأسرة به، وجعلته يقارن بينهما حتى يدرك الفارق بنفسه وتضاحكا وعادا إلى البيت وافترقا وفي الصباح التالي، تلقت إيمي رسالة من لوري، بدلا من المكالمة المعتادة، تركت في نفسها غصة إذ أعلمها فيها أن لورنس الكسول سيلتحق بجده، وتمنى لها السعادة في فالروزا مع فرد فون بعد الصدمة الأولى، وبكل مودة ومحبة، حاول كل فرد في الأسرة أن يساعد الآخر في أوقات الشدة لقد وضعت الأسرة أحزانها جانبا وراح كل فرد يضطلع بدوره لجعل السنة الأخيرة لبيث سنة سعيدة

أعدت أفضل غرفة في المنزل لبيث، وكانت تضم كل ما ترغب فيه :أزهارها المفضلة، لوحاتها، البيانو الذي تعزف عليه، أشغالها، وقططها وكان الجميع يسعى لإسعادها في هذه الغرفة، كانت ترقد بيث ساكنة، ولكن أصابعها الرقيقة لم تتوقف عن العمل فقد كان يبهجها أن تضع أشياء صغيرة لتلاميذ المدرسة الذين يمرون بالقرب من نافذتها جيئة وذهابا وكانت سعيدة بالعناية التي تلقاها من كل من حولها خصوصا عندما يتجمعون في غرفتها المشمسة وكأن هذه السكينة التي ملأت نفوس أفراد الأسرة، كانت فترة تمهيد لاستقبال الساعات الصعبة المقبلة، ذلك أن بيث كانت تزداد ضعفا يوما بعد يوم بحيث لم تعد تقوي حتى على حمل الإبرة، وتنزعج من الأصوات الصادرة بين حين وآخر، وكانت صرخات الاستغاثة من الألم تمزق قلوب أهلها قالت بيث لأختها جو: أشعر أني أقوى عندما تكونين إلى جانبي ومنذ ذلك الحين لم تعد جو تفارقها كانت تنام على الأريكة بالقرب منها، وتقدم لها ما تحتاجه من الرعاية وكانت سعيدة كل السعادة بما تقوم به من أجل أختها ولكن بيث كانت صامتة دوما وحزينة ، وكأنما تحاول أن تبتعد عن حياتها القديمة وتهيئ نفسها لتقبل حياة جديدة، من خلال الدعوات والصلوات والموسيقى التي أحبتها ولت أيام الربيع وباتت السماء أكثر إشراقا والأرض أشد خضرة، وفاحت الأزهار وعادت الطيور لتقول وداعا لبيث التي كانت تتشبث بأيدي من حولها كطفل وديع، فيما يقودها أبوها وأمها بحنان عبر وادي الظل ويستمانها إلى الله

وفارقت بيث الحياة من دون وداع، وقد ارتسمت على وجهها الرقيق نظرة حب بريئة وفارقها أهلها بالدموع والصلوات، والحزن يعتصر القلوب ورأوا في وجهها، وهي مسجاة على فراش الموت في طريقها إلى رقدة طويلة بلا ألم، وجه ملاك طيب كان الموت راحة لبيث الحبيبة، وهذا ما خفف الألم والعذاب عن أسرتها لقد اختار الموت بيث إلى جواره، وها هي ترقد بسلام وقد ارتسمت السكينة على وجهها كان لمحاضرة إيمي مفعولها الجيد على لوري، وإن لم يستوعبها إلا بعد حين فقد عاد إلى جده وكرس نفسه له بضعة أسابيع واقتنع بينه وبين نفسه أنه كان أنانيا وكسولا حقا وشعر بأنه إذا كان قد خسر حب جو، إلا أنه يستطيع أن يكسب احترامها وإعجابها وفكر لوري في تعلم الموسيقى، فذهب إلى فيينا لهذه الغاية، ولكنه وجد طريق الموسيقى طويلا وفكر في المسرح، لكنه ما لبث أن أعرض عنه أيضا وتساءل عما يمكن أن يختار، وكان عليه أن يجيب عن هذا السؤال الصعب كان يعتقد أن نسيان جو قد استنفد كل طاقته، لكنه اكتشف مع الوقت، أن عاطفة المراهقة الجياشة قد تحولت إلى عاطفة هادئة، وإلى مودة أخوية لا تشوبها شائبة وتدوم طويلا وأبدا

انشرحت نفسه عندما لمعت في ذهنه فكرة المحبة الأخوية وابتسم وهو يحدق في صورة موزارت وقال: إنه رجل عظيم، فعندما لم يحصل على إحدى الأختين كان قانعا سعيدا بالأخت الأخرى ورغم ما توصل إليه من قناعة إلا أن صورة جو ظلت تداعب خياله وكتب إلى جو يستطلع رأيها في العودة ليعيشا معا، فأجابته بالرفض لأن حزنها على بيث يملأ حياتها، ورجته أن ينشد السعادة مع غيرها، كما رجته ألا يخبر إيمي بما حدث لبيث لذا، كان على لوري أن يراسل إيمي باستمرار كي لا تشعر بالوحدة أو القلق ووصلت رساله لوري إلى إيمي، فسارعت إلى الرد برسالة بعثت بها إليه تقول فيها: إنها تحس بالغربة فعلا، وتحتاج إلى من ينقذها من وحدتها، وإنها قد أنهت علاقتها بفرد مسترجعة كلمات لوري: إن فرد إنسان جيد، ولكن ليس بالرجل المناسب لك أبدا وظلت هذه العبارة تتردد في ذاكرتها ومعها صورة لوري وهو يرددها أمامها ومنذ ذلك الحين، لم تعد إيمي تلقي المحاضرات على لوري، بل باتت تستأنس برأيه في جميع الأمور وكانت تهتم في بكل ما يفعل، وتواظب على مراسلته وتابعت هواية الرسم التي كانت تستغرق جانبا كبيرا من وقتها هذا الاستغراق جعل العمة تعتقد أن إيمي حزينة ونادمة على رفضها لطلب فرد يدها، ولكن الحقيقة هي أن ما كان يشغل بال إيمي هو شيء آخر، وهو أن يعلم لوري أن فرد قد غادر إلى مصر

عندما وصل الخبر الحزين عن بيث إلى إيمي، كانت قد سافرت إلى سويسرا عن طريق جنوى والبحيرات الإيطالية، ولكنها كانت تشعر بالضجر والأسى وتتوق إلى العودة إلى الوطن وكانت تتطلع كل يوم إلى البحيرة بتوق وهي تنتظر لوري كي يأتي ليواسيها كان لوري في ألمانيا وما إن وصلته الرسالة حتى سارع بالسفر إلى حيث تقيم أسرة العمة كارول ليقابل إيمي في حديقة غناء عند تخوم البحيرة، كانت إيمي تجلس حزينة قلقة تفكر في بيث وفي لوري ولم تسمع خطاه وهو يقترب منها عبر ممرات الحديقة انتصب أمامها وهو يحدق فيها وكأنه يراها لأول مرة وعندما رفعت ناظريها وشاهدته اندفعت نحوه غير مصدقة وهي تقول: أوه لوري لوري كنت أعرف أنك ستأتي وقف كلاهما صامتا لبرهة كان قلباهما مفعمين بالسعادة أحست حينها، أن ما من إنسان يمكن أن يواسيها ويشد من أزرها مثل لوري، وشعر هو بدوره أن إيمي هي الفتاة الوحيدة في العالم التي يمكن أن تحتل مكان جو وتسعده ولم يفصح أحدهما للآخر بمكنون قلبه، ولكن كليهما كان يحس بهذه الحقيقة قالت إيمي: إنها لمفاجأة أن أفتح عيني فأراك في وقت بدأت أخشى ألا تأتي فقال لوري: لقد جئتك لما علمت بالخبر ليتني أستطيع أن أقول شيئا لأواسيك بوفاة العزيزة الصغيرة بيث واختنقت الكلمات في حلقه ولم يجد سوى أن يعصر يدها بحنان وسارا معا في أرجاء الحديقة التي تناثر فيها العشاق وشعرت إيمي بأنها خلفت وراءها مشاعر الوحدة والأحزان

أمضى الاثنان أوقاتا مليئة بالبهجة والسعادة، وشعر لوري باستحالة حب امرأة أخرى غير إيمي ولم يكن بحاجة إلى أن يفصح لها عن حقيقة مشاعره، فقد أحست بذلك من تلقاء نفسها وأعطته الجواب الذي كان ينشده وكانت تشعر بأن حبهما سيسعد كل من حولهما حتى جو

آثر لوري أن يرجئ الإفصاح عن حبه حتى اللحظة المناسبة وتخيل أن هذه اللحظة ستكون في حديقة القصر تحت ضوء القمر، ولكن اللحظة السعيدة جاءت في وضح النهار وهما يجدفان في ماء البحيرة إذ سرعان ما شعرا أنهما في قمة السعادة وهما يتوصلان إلى هذا القرار المشترك بينما كانا يجدفان معا في عباب مياه الحياة المشتركة كان من السهل على جو أن تعد بنكران الذات في الوقت الذي كانت أختها المريضة بيث توشك أن تودع الحياة ولكن، وبعد أن خبا ضوء الحياة، لم يعد لجو سوى الوحدة والحزن كيف يسعها أن تشيع البهجة في من حولها وقد رحلت بيث إلى الدار الآخرة؟ ولم تعد تجد ما تشغل به نفسها وأصابها اليأس وهي تفكر كيف ستمضي حياتها في هذا البيت الهادئ، تقوم بالواجبات الرتيبة المملة التي لا تنتهي وشعرت أنها لا يمكن أن تستمر على هذه الوتيرة، وأنها قد تقدم على عمل يائس إذا لم يساعدها أحد وطلبت إلى والدها ذات يوم أن يحادثها كما كان يفعل مع بيث، لأنها في أمس الحاجة إليه فعانقها بحنان مؤكدا أن لا شيء أعثر عليه من أن يقف إلى جانبها وراحت تبث والدها أحزانها وتحدثه عن خيبات أملها، وأعطته ثقتها كلها، وأعطاها بدوره كل ما تحتاج إليه من مساعدة وهذا ما منح كليهما راحة النفس وأخذت جو تعود نفسها شيئا فشيئا على أعمال المنزل، وبصورة لاشعورية، وجدت نفسها تقوم بكل ما كانت بيث تقوم به سألتها أمها ذات مرة: لم لا تكتبين؟ لقد كانت الكتابة تدخل السعادة إلى قلبك دوما ردت جو بشيء من القنوط قائلة إنها لا تجد رغبة في الكتابة، ولا تجد شخصا يهتم بما تكتب وشجعتها أمها على الكتابة قائلة:

حاولي أن تكتبي يا غاليتي وأنا واثقة أن الكتابة ستدخل السرور إلى قلبك كتبت جو قصة لم تكن تتوقع أن تلقى ما أصابته من نجاح وتلقت الكثير من رسائل الإعجاب من القراء والأصدقاء مما أثار دهشتها، فراحت تتساءل عن سر إعجاب الناس بما كتبت وجاء الجواب البسيط من والدها: السر يكمن في ما تحتويه من صدق إنك تكتبين من دون أن تفكري في الشهرة أو المال يا بنيتي، وتصببين أحاسيسك في كتابتك لقد مرت الأيام الصعبة وجاءت الأيام الحلوة ابذلي ما في وسعك وكوني سعيدة كما نحن سعداء الآن بنجاحك تأثرت جو بكلام والدها وقالت إنها مدينة بنجاحها له وأمها ولبيث عندما علمت السيدة مارش بخطبة إيمي ولوري خشيت على جو من الصدمة، ولكن مخاوفها سرعان ما تبددت عندما وجدت أن جو لم تتأثر كثيرا واعترفت الأم بأنها كانت تتوقع مثل هذا الحدث، بل وتتمناه أكدت جو لأمها أنها سعيدة لخطبة أختها ولأنها عرفت كيف ينبغي أن تعامله، ولكنها شعرت في قرارة نفسها بغصة وعاودها شيء من الحزن وحين تذكرت كلمات كتبها لها البروفسور عندما كانت في منزل السيدة كيرك، أحست برغبة شديدة في البكاء كانت جو تضطجع على الأريكة وحيدة في الغسق، تنظر إلى المدفأة وتفكر إنه وقتها المحبب الذي اعتادت أن تسرح فيه بتفكيرها، تؤلف القصص في خيالها، وتحلم، أو تفكر في أختها التي لم تبرح ذاكرتها وانتابها شعور بالحزن فالسنون تنصرم بسرعة، وها هي تبلغ الخامسة والعشرين ولا يلوح لها شيء في الأفق

وفجأة مثل أمامها شبح لوري، الذي انحنى وقبلها، فشعرت بحنين شديد إليه وصرخت والغبطة تملأ كيانها: حبي تيدي ودار بين الاثنين حديث عاطفي حميم، وذكريات، وعتاب ومسامحة وصار لوري يحكي لجو، كيف أحب إيمي، كما حكى لها ظروف زواجه السريع بها وتفهمت جو ظروفه، وشعرت بالسعادة لأنه أصبح رجلا ناضجا يحسن التصرف وتواعد الاثنان على الصداقة والمودة والتعاون وبينت جو الظروف الصعبة التي مرت بها في السنة الأخيرة، حتى إنها باتت تشعر وكأنها امرأة في الأربعين ولكن وجود أبيها وأمها إلى جانبها، وسعادته هو مع شقيقتها إيمي، جعلاها تشعر بالطمأنينة وفجأة، سمع صوت إيمي وهي تصيح: أين هي؟ أين حبيبتي جو؟ وتقاطر أفراد الأسرة كلها وراحوا يتبادلون العناق والقبل كان وجه إيمي مفعما بالسعادة، وصوتها يفيض بالرقة، وحلاوة طباعها تكسبها مزيدا من السحر فضلا عن جمالها ورشاقتها وبدأ الجميع بالدردشة، مسترجعين ذكريات الماضي بمسراته ومآسيه خلال سنوات طويلة ماضية، وكل ذلك في مدة لا تتعدى نصف ساعة من الوقت ما إن انتهى وقت شرب الشاي، حتى قرع جرس الباب الخارجي وفتحت جو الباب بلهفة وفوجئت بشبح آخر ينتصب أمامها، شبح رجل ملتح ينظر إليها وصاحت جو: اوه السيد باير؟ لكم أنا سعيدة برؤيتك فأجابها البروفسور باير :

وأنا سعيد برؤيتك يا آنسة مارش وتردد قليلا في الدخول بعدما سمع لغط أصوات صادرة من الطابق العلوي قالت جو: تعال انضم إلينا لا يوجد سوى أفراد العائلة أختي والأصدقاء قال السيد باير: يسعدني أن أراهم، وأنت هل كنت مريضة يا صديقتي؟ جو: لا، لم أكن مريضة كنت متعبة وحزينة لقد صادفتنا بعض المصاعب منذ لقائنا الأخير السيد باير: لقد شعرت بالحزن من أجلك عندما سمعت بذلك وعرفت جو الجميع بضيفها وقد انتابها شعور بالاعتزاز والسعادة سر السيد باير بالترحاب الشديد الذي استقبل به من قبل الجميع واستطاع بدوره أن يستأثر باهتمامهم، بمن فيهم لوري الذي حاول أن يتجنبه في البداية كانت جو تسترق النظرات إلى السيد باير وتقول في نفسها: ماذا كان يضيرك يا صديقي العزيز لو كنت قد توددت إلي في هذه الأمسية، غنت إيمي أغاني بيث بصوت شجي وكان الجميع يصغون باستمتاع، ولكن صوتها كاد يختنق فجأة وهي تغني الشطر الأخير من أنشودة بيث المفضلة: لا توجد على الأرض أحزان لا يستطيع الماء أن يبرئها

وهنا قالت جو: فلنسمع أخيرا أغنية مينو ينشدها لنا السيد باير وقف السيد باير في زاوية المكان حيث كانت تقف جو وراح يدندن ويهمهم استعدادا للغناء قائلا: أتمنى أن تصاحبوني بالغناء بعد أن أنهى السيد باير أغنيته الحلوة، فاجأه لوري وهو يتقدم منه مصطحبا إيمي قائلا: زوجتي وأنا سعيدان جدا بلقائك يا سيدي إنا بانتظارك شكره البروفسور بحرارة وبادله المجاملة

وقال وهو يخاطب السيدة مارش إنه سيبقى في المدينة بضعة أيام بسبب بعض الأشغال ترك البروفسور انطباعا حسنا عند الجميع ولكن جو راحت تتساءل بعدما غادر السيد باير المنزل: ترى، ما هي هذه الأشغال التي حملت السيد باير على المجيء إلى المدينة؟قال لوري، وقد جاء إلى بيت حميه في اليوم التالي، ووجد زوجته في حضن أمها كما كانت تفعل وهي طفلة :سيدتي، هل تسمحين لي بزوجتي مدة ساعة؟ لقد وصلت الأمتعة من باريس قالت السيدة مارش: كيف لا هيا يا حبيبتي، لقد نسيت أن لديكما بيتا غير هذا قال لوري: ما جئت إلا لأنني لا أستطيع العيش من دون امرأتي الصغيرة أكثر من فقاطعته جو قائلة: دوارة الريح لا تعمل بلا رياح رد لوري قائلا إن زوجته تصوب اتجاهه حقا، وتسدد خطاه

قالت إيمي بلهجة ودية : ادخل يا عزيزي أحسب أن ما تبحث عنه بين الأمتعة موجود بين أشيائي فالرجال لا يعرفون شيئاقالت جو: كيف ستتصرفان عندما تستقران معا؟ قال لوري :لن نكون كسالى سأعمل وأثبت لجدي أني لست ولذا فاسدا أما إيمي، فسوف تذهلكم بحسن ضيافتها في منزلنا وفي المجتمع الراقي حولناما إن هما بالمغادرة حتى كان البروفسور باير يفتح البوابة بصبر نافد وفي المساء، قال لوري مخاطبا زوجته: سيدة لورنس إن ذلك الرجل يريد أن يتزوج جو آمل ذلك ياعزيزي إنه جيد، ولكنني كنت أتمنى لو أنه أصغر سنا وأكثر غى

-لا يا عزيزي، لا تكن مهتما بالشؤون المادية وحسب، فإذا كان أحدهما يحب الآخر فلا يهم العمر أو الغني إن المرأة لا تتزوج من أجل المال وهنا ذكرها لوري بخبث كيف أنها كانت تود أن تتزوج من أجل المال في وقت من الأوقات فقالت له إيمي: أنا لم أفكر في المال عندما رضيت بك زوجا كنت سأتزوجك حتى ولو كنت لا تملك سوى نقير، وأنت تعلم أنني سأسير معك مشوار الحياة إلى آخره، حتى ولو كنت تكسب عيشك من التجذيف في البحيرة

لوري :كيف يمكن أن أفكر بغير ذلك وقد رفضت من هو أغنى متي من أجلي؟ وخطر على بال إيمي أن تسأله :هل يحزنك أن تتزوج جو السيد باير ؟

لوري :أوكد لك أني سأرقص في عرسها بسريرة صافية هل تشكين في ذلك يا حبيبتي؟ وكانت إيمي راضية عن هذه الإجابة التي أزاحت عن نفسها مخاوف الغيرة إلى الأبد قال لوري ممازحا، وهو يخطو مع زوجته في غرفة الاستقبال وقد تأبط ذراعها :بودي لو نستطيع أن نفعل شيئا لهذا البروفسور المميز هل نستطيع أن نخترع صلة قربى له بغني يموت في ألمانيا ويترك له ثروة صغيرة؟ فقالت إيمي: إن جو سوف تكتشف الأمر وتفسد كل شيء إنها فخورة به كما هو لوري: على بركة الله لن نتدخل الآن، ولكن سنتحين فرصة نستطيع أن نقدم فيها شيئا لهما إنني مدين لجو بتعليمي، وهي تؤمن بالناس الذين يسددون ما عليهم من دين فقالت إيمي:

ما أجمل أن نكون قادرين على مساعدة الآخرين لقد كان هذا حلمي، وبفضلك ستصبح الأحلام في الوقت الذي كان لوري وإيمي يرتبان منزلهما ويخططان لمستقبل باسم، كان باير وجو يتمتعان بالنزهات عبر الطرق والحقول الموحلة طرأت على جو خلال تلك الفترة تغيرات كثيرة، فقد باتت أكثر ابتهاجا وأكثر اعتناء بشعرها وزينتها أما البروفسور باير، فكان يتحدث مع السيد مارش في الفلسفة ويعطي ابنته دروسا في الحب ظل البروفسور باير يتردد على أسرة جو طوال أسبوعين ثم انقطع فجأة ثلاثة أيام، ما أثار قلق جو وقالت في نفسها: كان عليه أن يودعنا كأي رجل يتصف بالكياسة وتذرعت بحاجتها إلى شراء بعض الحوائج، حتى تنزل إلى المدينة وتقابل السيد باير والتقت به بالفعل في طقس ماطر وسألها: ماذا تفعلين هنا يا صديقتي؟ واقترح عليها أن يحمل عنها المرة التي كانت تحملها قالت جو وهي تتأبط ذراعه: ظننا أنك سافرت وهل أستطيع أن أسافر قبل أن أودع من كانوا في غاية الطيبة معي؟طبعا لا، ولكنني علمت أنك كنت مشغولا بأمور خاصة لقد افتقدناك ولاسيما أبي وأمي وأنت؟ أنا دائما سعيدة برؤيتك يا سيدي قالت جو تلك العبارة وهي تحاول أن تجعل صوتها يبدو طبيعيا أخبرها باير بأنه سيعود قريبا،

فلم يعد لديه ما يفعله في المدينة وقال إنه سيأتي لزيارتهم قبل سفره وشعرت جو بغصة من جوابه فصارحها بأن لديه فرصة عمل جيدة تدر عليه دخلا أفضل يجعل حياة ولديه فرانز وإميل أيسر

وقال إن العمل الجديد سيكون بعيدا ما يجعل فرص لقاءاتهما أقل لم يكن باير خبيرا بمشاعر النساء، ولم يفطن للنبرة اليائسة في صوت جو اشترت جو ما كانت تريده من أحد المحال، واشترى لها باير بعض الأزهار وطلب منها أن تساعده في شراء ثوب لتينا، لأنه يجهل هذه الأمور أحست جو وهو يطلب منها هذا، برعشة من البرودة الشديدة تجتاحها، وحاولت أن تخفي مشاعرها وقد أغاظها تصرف باير، ولكنها لم تستطع ذلك وانهمرت الدموع على خديها كانت محبطة ومتعبة تريد أن تعود إلى الديار بأسرع وقت وعندما سألها برقة عن سبب بكائها، لم تتردد في القول بصراحة: لأنك مسافرقال باير وهو يحاول أن يمسك بكل ما يحمله من أشياء :ه جو، ليس عندي الكثير من الحب أعطيه لك لقد جئت لأعرف ما إذا كنت تهتمين بي وانتظرت حتى أتأكد ما إذا كنت أكثر من مجرد صديق فهل أنا كذلك؟ هل ثمة متسع في قلبك لفريتز العجوز؟

قالت جو: أجل وأحاطته بذراعيها ونظرت إليه نظرة تعبر عن سعادتها بمتابعة مشوار الحياة معه، رغم عدم وجود مأوى أفضل لهما من مظلته العتيقة ثم سألته وهما يسيران معا لا يأبهان لكل ما حولهما: قل لي، ما الذي أتى بك أخيرا في الوقت الذي كنت بأمس الحاجة إليك تماما؟ أخرج باير ورقة من جيبه، وقال: هذه لقد وجدت هذه الورقة مصادفة، وكان فيها أبيات من الشعر خيل إلي أنها تدعوني إلى المجيء وقرأت جو هذه الأبيات :امرأة في بيت وحيد تبدو كبيت شعر حزين تتطلع إلى حب كبير آت في يوم صيف ماطر قالت جو، وهي تمزق الورقة: إنه شعر ردئ، ولكنني كنت أحس بتلك المشاعر عندما كتبته

وتابعت قائلة :ما الذي أخرك كل هذا الوقت؟وشرح لها باير ظروفه وأنه ما كان في وسعه أن ينتزعها من بيت أهلها قبل أن يوفر لها المنزل المناسب فهو لا يملك سوى علمه قالت جو بحزم: أنا سعيدة لأنك فقير، فأنا لا أستطيع أن أتحمل زوجا غنيا لا تخش الفقر فقد خبرته طويلا، ويسعدني أن أعمل من أجل من أحبهم قال باير :هل تستطيعين الانتظار وقتا طويلا يا جو؟ كان بحاجة إلى فترة من الوقت حتى يستطيع أن يؤمن مستقبل ولديه ومعيشتهما، فضلا عن تأمين حياته وقبلت جو الانتظار فكلاهما يحب الآخر، وهذا ما يجعل الانتظار سهلا عليهما الآن أن يكافحا وأما المستقبل فهو بيد الله

أسعدت كلماتها قلب باير، فقد منحته الأمل والشجاعة أما هو، فلم يكن يملك سوى قلب عامر بالحب ويدين خاليتين قالت له جو عند عتبة الدار وهي تعانقه: لن تبقي يداك خاليتين بعد الآن وقبلته تحت المظلة، وأدخلته البيت وأغلقت الباب خلفهما طوال سنة، ظل الأستاذ وجو يكدان معا، ويأملان ويتواصلان ويتراسلان وفي بداية السنة الثانية، توفيت العمة مارش فجأة تاركة لجو ميراثا طيبا إنه بيت عتيق ولكنه فسيح وجميل وظن الجميع أن جو ستبيعه، فهو بيت كبير ذو حديقة واسعة، ويحتاج إلى مال كثير لصيانته وخدمته ولكنها أصرت على إبقائه فهي تريد أن تحوله إلى مدرسة خاصة بالأطفال، تعمل هي وفريتز فيها وقالت إنها ليست فكرة طارئة، فقد راودتها هذه الفكرة منذ زمن بعيد فكم ستكون سعيدة حين تحقق الحلم الذي لطالما كان يراودها وافق الوالدان على رأي ابنتهما وكانت سنة رائعة، بدت فيها الأمور تسير بسرعة وعلى أحسن ما يرام وكانت جو تفكر بأن ذلك المنزل في بلامفيلد، يصلح أن يكون مكانا عائليا للأولاد الذين يحتاجون إلى التعليم والعناية و حسن المعاملة

وسرعان ما تزوجت جو وحققت أحلامها، ودخل مدرستها الكثير من الأولاد الذين كانوا يدعونها ماما باير واكتملت سعادتها بإنجاب طفلين: روب على اسم جده ، وتيدي الذي اكتسب صفات أمه وأبيه كان هناك الكثير من العطل والإجازات في بلامفيلد، ومن أبهجها عطلة قطاف التفاح السنوية، حيث كانت تتجمع أسرة مارش ولورنس وبروك وباير لتحتفل بهذه المناسبة

وقد شهدت حديقة ذلك المنزل، بعد خمس سنوات من عرس جو، واحده من تلك الحفلات الرائعة التي شارك فيها الجميع مع أطفالهم وأحسوا بسعادة غامرة وبهجة وحبور، وكانت جو في ذروة سعادتها في ذلك اليوم وبعد أن انتهى القطاف، ووضع العشاء على العشب، راح الجميع يشربون الأنخاب، وينشدون الأغاني، ويضحكون ويمرحون

كان الجميع في غاية السعادة فباير بات يشعر بأنه محظوظ بسبب ما آلت إليه الأمور وما حقق مع زوجته من نجاح واعتبرت ميج أنها حققت كل ما تتمناه مع زوجها جون وقالت إيمي إن ما تحقق في حياتها لم يكن ضمن ما كانت تخطط له، ومع هذا فإنها لا تتمنى أن تغيره أو تبدله، فهي وزوجها راضيان عن حياتهما، وشكرت الله على سعادتها أما جو، فقالت: لا حاجة بي إلى القول إني سعيدة، فهذا ما يستطيع كل امرئ أن يراه، فأنا سعيدة بزوجي وولدي وقد أعطاني الله أكثر مما أستحق قالت السيدة مارش: أعتقد أن حصادك، يا جو، كان جيدا فقالت جو باندفاع طفولي:

ولكنه لا يصل إلى نصف حصادك يا أماه فنحن لا نستطيع إلا أن نقدم آيات الشكر على ما قدمته لنا قالت إيمي: آمل أن يكون حصادنا أوفر في السنوات القادمة وقالت ميج بصوت حنون: حصاد كبير يكون لك الفضل فيه ولم يسع السيدة مارش، التي تأثرت بالغ التأثر بكلمات من حولها، إلا أن تمد يديها وكأنها تريد أن تعانق جميع بناتها وأحفادها، وتقول بصوت ملؤه المحبة والأمومة، والامتنان والتواضع :أطال الله أعماركن يا بناتي الحبيبات، فأنا لا أستطيع أن أتمنى لكن إلا سعادة أعظم من هذه